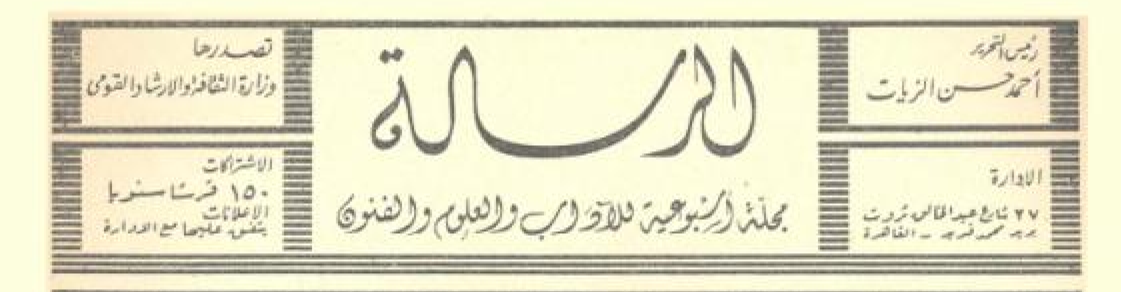


الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ١٠٢٧ ـ أول جمادى الاولى سنة ١٣٨٣ هـ ـ ١٩ سبتمبر سنة ١٩٦٣ م السنة الحادية والعشرون

الفهرس

ثورة في وزارة الثقافة

بقلم : أحمد حسن الزيات

كانت وزارة الثقافة والارشاد القومي تسير في صفوف الزحف الثورى العـــارم بوقار العالم وأناة الأديب وتؤدة الفنان ، تجيش بالحياة ولا تفيض ، وتقرر المشروعات ولا تشرع ، وكنا نقول انها فترة الحشد قبل الهجوم ، وتنظيم الهجوم قبل المعركة ، ولكن الروح الثورى الذى انبث في كل شيء وانبثق في كل عمل ، كان يضيق بهذا البطء ويحاول أن يدفع بقيادة الثقافة الى الصف الامامى من ميدان الانشاء والاحياء والتوعية حتى تولاها الرجل الهادىء الثائر العمول وزيرها القائم ففجر في أقسامها المختلفة وأجهزتها العاملة طاقات الذهن المكنونة في رءوس خمسمائة من نابغى الشيوخ ونابهى الشباب ليقيموا للامة العربية (السد العالى) للثقافة يجمع وراءه العلم والادب والفن والمعرفة ليوزعهـــا على العقول والقلوب والارواح ، كمـــا يجمع وراء السد العالى للاقتصاد الخصب والنماء والرخاء والقوة ليوزعهـــا على الموات والزروع والنـــاس . وبهذين الخزانين الادبى والمادى يجتمع لنا مقومات الروح والجسد ووسائل الرفاهية والامن ودوافع السبق والتفوق .

هذا السد الثقافى الذى تريد الوزارة أن تقيمه بجانب السد الاقتصادى أسمته (المكتبة العربية) ورصدت له الأهب ووضعت له الخطط وارادت منه تطوير الحياة العلمية والادبية والفنية باحياء مادرس وتجديد مارث وتحقيق ما انبهم وتكميل ما نقص

وترجمة ما راع من آداب الأمم ونشر كل اولئك على القراء في معرض مستحدث ومظهر مستطرف ٠

وهــذا التخطيط باعتباره فاتحة للعمل وبداية للسير واف بالغرض موف على القصد ، ولكن الشيء الذى حك فى صدرى منه أن مكان الترجمة فيه مكان الفضلة لا الحاجة ، وان نصيبها منه نصيب الكمال لا الضرورة ٠ والترجمة هى الوسيلة الاولى لدرء القصور عن اللغة وسد النقص فى الادب وكشف الظلام عن الامة ، ودفع النهضة الفكرية دفعا الى عصر الذرة وعالم الفضـاء بعد ما عوقنا الجهل والاستبداد والاستعمار قرونا عن ركب الحضارة ٠ ذلك لاننا اذا نقلنا الى لغتنا نتائج القرائح لاقطاب العلم والادب والفن من الانجليز والامريكان والفرنسيين والالمان والروسيين والطليان أصبح هؤلاء العالمون جزءا من كياننا الادبى وركنا من بنائنا العلمى نعتز به ونستمد منه ونفتن فيه ونزيد عليه كما فعل آباؤنا الاولون ٠ بما نقلوه من علوم الاغريق والهنود واليهود والسريان والفرس ٠

ان أدبنا الحديث لا يزال ناقصا فى نوعه وبيانه ، لانه أنكر قديمه وجهل جديد الناس ، فلم يغذه ماض ولم ينمه حاضر ، فظل خديج الخلق لا هو حى ولا هو ميت ٠ ولقد كان أدبنا القـديم فى حدود مراميه اللسـان العـام لخوالج النفس الانسانية فى أكثر بقـاع الارض ، فلم تـكن هناك فكرة تجول فى ذهن كاتب ، ولا صـورة تتمثل فى خاطر شاعر ، الا وجدت فى هـذا الخضم المحيط صدفة تستقر فيهـا ٠ فلما تحولت عن مذاهبه الانهار ، وجفت على جوانبه الروافد ، عاد كالبحيرة المحدودة لا يمدها الا قطرات المطر ودفعات السيل حينا بعد حين ٠ فالقارىء العربى الحديث لا يجد فيما أثر منـه ولا فى أكثر ما اسـتجد فيـه غذاء عقله ولا رضا شـعوره ، لان المأثور منه ناقص لانقطاعه عن سير المدنية ، والجديد منه ناقص لانعزاله عن الآداب الاجنبية ٠ والغريب المخجل ان المرء يقرأ أى نابغة من نوابغ العالم فى أى لغة من لغات التمدن الا فى اللغة العربية ٠ حتى التركى يستطيع أن يقرأ فى لغة هوجو كله وشكسبير كله وجيته كله ، ولكن العربى لا يجد فى لغته لهؤلاء العباقرة العالميين الا كتابا أو كتابين اختارهما مترجم على ذوقه ونشرهما على حسابه ! فاذا أردنا لادبنا أن يتسع فى حاضره كما اتسع فى ماضيه فليس لنا اليوم من سبيل الا سبيل الأمس ، نرفده بآداب الامم الاوربية ، ونصله بتيار الافكار الحديثة ، فان لكل أمة مزايا ، ولكل بيئة خصائص ، ولن يكون أدبنـا كاملا ما لم يلقح بآداب العالم ٠ والمحاكاة والاحتذاء من أقوى العوامل أثرا فى الادب ٠

وما قلته فى الادب أقوله فى العلم والفن ، فان ما فى العربية منهمـا لا يعدو فى الغالب أن يـكون ملخصات مجهولة النسب او مقتبسات قليلة الغناء ، اذا نفعت أحـدا فانما تنفع طلاب المـدارس ، أما الشعب الظامىء للمعرفة فلا يجد بين يديه من أمهات الكتب العلمية والفنية ما ينقع غليله ويسد عوزه ، وما دام الامر كذلك فسيظل اللسان العربى والعقل العربى محصـورين فى حـدود القرون الوسـطى لا يواكبان ركب الحياة ولا يسايران تقدم الفكر ٠

ان العلوم اليـوم اوربية وامريكية مافى ذلك شك ، وان الفروق التى باعدت بين الشرق والغرب فى مدلول الانسانية الراقية انما يجمعها كلها نقص العلم ، وهذا العلم الذى سخر السماء والارض وما بينهما للانسان الضعيف ، سيبقى غريبا عنا ما لم ننقله الى ملكنا بالتعريب ونعممه فى شعبنا بالنشر ، ولا يمكن أن يصلنا به او يدنينا منه كثرة المدارس ولا وفرة الطلاب ، فان من المحال أن ننقل الامة كلها الى العلم عن طريق المدرسة ، ولكن من الممكن أن ننقل العلم كله الى الامة عن طريق الترجمة لذلك أرى من تمام الخير لهذه الثورة الثقافية المباركة ان يعاد النظر فى مخطط الترجمة ، فلعله يوضع على أن يكون لها فى (المكتبة العربية) ركن شامخ رحب يختار له عدد وفر من المترجمين النابغين فى لغتهم وفى لغات التمدن المختلفة ينقلون عنها الثقافة نقلا منهجيا كاملا فلايدعون علمـا من اعلام الادب والعلم والفن والفلسفة الا نقلوا كتبه ونشروها على حسب ترتيبها وتبويبها فى طبعاتها الاصلية ٠ فاذا فرغوا من ترجمة الموجود فرغوا لترجمة المستجد ، فلا يكون بين ظهور الكتاب فى أوربا او امريكا وظهوره فى مصر الا ريثما يترجم ويطبع ٠ هـذا الركن سيكون بتجديده اللغة وتطعيمه الادب وتعريبه العلم وتعميمه الثقافة وتدعيمه النهضـة وتيسيره القراءة جامعة شعبية لا تقل فى الاثر ولا فى الخطر عن جامعاتنا الخمس ، أو قل انها الميادين المتقدمة وهو مركز التموين الذى يمدها بالميرة والذخيرة والمدد ٠

فاذا أقامت وزارة الثقافة بثورتها البناءة هـذا

شخصية تونسية

للدكتور محمد أحمد خلف الله

اجمعوا امرهم بليل ، فلما اصبحوا اصبحت لهم ضوضاء .

اجمعوا امرهم على ان يقتالوه ، فلما اصبحوا ترصدوا له في الطريق فيما بين رادس وتونس . فيما بين البلدة التي يسكنها والمدينة التي يعمل فيها . وحين مر عليهم يقود سيارته ـ وهو وحيد اعزل من كل سلاح ـ جروا خلفه الى ذلك المكان المقفر ، الموحش ، الذي قدروا انه خير مكان لارتكاب الحادث ، ـ وهو حافة احدى المقابر ـ امطروه بوابل من رصاصات مدفع رشاش ، فاصابوه بجراحات واصابوا سيارته بعطب حتى انكفات .

***

كان هناك راع يرعى الغنم ، وفلاح يستنبت الارض ، وسيارة نقل كبيرة تنهب الارض . واشار الرجل الذي ينزف دمه من اكثر من مكان الى السيارة ، وطلب الى قائدها ان يحمله الى المستشفى الصادقي بتونس لعله ان يشفى مما اصابه . ولبى السائق ، وكاد أن ينقذ الرجل . ولكن سيارة اخرى وقفت وطلب سائقها ومن معه ان يكونوا رسل الرحمة ، فهم بالرجل اعرف ، وسيارتهم به اسرع ، ومكانه بينهم اليق ، وهم الى جواره حتى ياذن الله بالبرء من الجراح . ولبى سائق سيارة النقل هذه الدعوة كما لبى الدعوة السابقة ، وخلى فيما بينهم وبين الرجل .

حملوه معهم ، ومضوا به الى مكان آخر ليس هو المستشفى . وهناك اجهزوا عليه ، وشدخوا منه الراس ، وشوهوا منه الوجه والجسد ، وحملوه بعيدا عن مكان الجريمة ، والقوا به على قارعة الطريق .

***

علم البوليس الفرنسي بالخبر ـ كيف لا تدري ! فلم يخبره مخبر ، ولم يبلغه انسان . ووصل من البوليس الفرنسي ـ وفي وقت معا ـ فريقان من العسكر : فريق الى مكان الحادث الاول حيث السيارة موجودة . وفريق الى الجثة الملقاة على قارعة الطريق . ومضى الاولون بالسيارة ، ومضى الآخرون بالجثة ، وطمس كل منهم معالم الجريمة . وبدا الامر وكان لم تحدث جناية ، وكان لم يكن هناك قتيل يستحق الرثاء او يستحق البكاء .

***

لقد تاخر الرجل عن موعده المضروب له في مكان العمل ، وسأل عنه الزملاء اهل بيته فاجابوا ان قد خرج في الموعد الذي يخرج فيه كل يوم. واصاب القلق الزملاء واهل البيت فقد كانوا جميعا يعلمون أن الرجل قد وصله تهديد بالقتل اكثر من مرة . ومضى كل في طريقه يسال عن الرجل ويستفسر من البوليس . واجاب البوليس الذي يعلم كل شيء انه لا يعلم شيئا . ومضى رجال البوليس في عملهم العادي وكان ليست هناك جناية تستحق بعض العناية ، وكان لم يكن هناك قتيل يستحق شيئا من الرثاء او بعضا من البكاء .

* • * • * • * • * • * • *

(ثورة في وزارة الثقافة ـ بقية)

الركن الركين في (المكتبة العربية) بجانب الاركان الاخرى على اعتباره تصحيح نهضة وتثقيف أمة وبدء تاريخ، رجونا أن تعود لغتنا وأدبنا الى الحال التي قال فيها كاهن قرطبة أيام كنا سادة الاندلس « انا نحب أن نقرأ الشعر والقصص وندرس الدين والفلسفة في اللغة العربية ، لانها لغة عذبة الالفاظ بليغة الاداء ، ولا نكاد نجد فينا من يقرأ الكتب المقدسة باللغة اللاتينية . وشبابنا الاذكياء لا يعرفون غير لغة العرب وآدابهم . وكلما قرأوا كتبها ودرسوا أدبها أعجبوا بها ، فاذا حدثتهم عن كتاب من الكتب اللاتينية سخروا منه وقالوا « ان الفائدة منه لاتساوى التعب في قراءته » ذلك ما قالوه في لغتنا وادبنا بالامس ، وهو نفسه ما نقوله في لغاتهم وآدابهم اليوم فهل في ذلك لقوم بلاغ !

أحمد حسن الزيات

وفى الساعة الواحدة ، وبعد وقوع الحادث بخمس ساعات تقريبا ، أعلن الامن العام النبأ ، ونقل الرجل الى قريته التى فيها ولد ، ودفن الرجل فى تلك القرية بمعرفة البوليس الفرنسى ، واطلق الأمن العام الشائعات – اذ لعلها أن تضلل الناس او تصرفهم عن الوقوف على الحقيقة . ولم يسلم الامن العام الفرنسى القضية للقضاء التونسى وانما اسلمها للقضاء الفرنسى – مخالفا بذلك كل شريعة وقانون – حتى تظل الحقيقة مجهولة ، ويظل الناس فى حيرة من امر هذا الحادث .

***

كانت تهمة الرجل عند قاتليه انه وطنى مخلص ، وانه خصم نزيه ، وان شعاراته تحث دائما على المضى فى الكفاح والنضال الى أن ينال الشعب التونسى حقوقه كاملة من المستعمر الغاصب .

كان مخططه السياسى يستمد مقوماته من تجربة الشعب التونسى فى ميدان الكفاح والنضال، ومن تجربته الشخصية فى ميدان العمل والعمال .

***

كان يرى انالحركة النقابية هى الاساسالاول فى سبيل وصول العمال الى حقوقهم والا ظلوا طبقة ، بائسة ، محرومة من كل حق – حتى من حقها فى بعض ما تنتج من كسب مادى « **ان اتساع كفاح العمال ضد من يستغلونهم يكون فى الواقع على نسبة تنظيم حركتهم ، ومدى تعزيز جهادهم وصفوفهم » . « وان الراسمالية الاستعمارية التى استقرت ببلادنا قد ضاعفت هجماتها على حركتنا ورجالها ، لان تلك الراسمالية ادركت ان كفاح الاتحاد العام يهدد امتيازاتها تهديدا مباشرا . وقد ازدادت قوة حركتنا ازاء هذه التهجمات بحيث ان العمال يبدون نحو مؤسساتهم العظيمة تعلقا لا حد له بالاضافة الى ما يظهرونه نحوها من ثقة عظيمة خصوصا فى الاوقات الحرجة »** .

***

وكان يرى ان الطبقة العاملة فى البلاد المستعمرة – اى الخاضعة للسيطرة السياسية التى تهدف الى الاستغلال الاقتصادى – تقع تحت طائلة نوعين منالاستغلال ! الاستغلال الراسمالى الذى يقاسى منه جميع العمال فى البلاد الحرة المستقلة ، والمرتبط بطرق الملكية ووسائلالانتاج. والاستغلال الاستعمارى الذى يجثم فوق صدور جميع السكان ، فى البلدان التى لم تتحرر بعد ، ومنبينهم طبقة العمال. وهذا النوع الاخير يعاضد النوع الاول ويسانده ، ويجعله اشد خطورة . ومن هنا كان ربطه بين العمل النقابى والعمل السياسى ، وكان قوله الى بعض محدثيه ممن يعيبون عليه اشتغاله بالعمل السياسى «**ولكن السياسة فى كل ميدان ، واذا سمحنا لانفسنا بتجاهلها فانها لا تتجاهلنا .**

ان العامل التونسى فى كفاحه من اجل التحرر من الاستغلال ، وفى سبيل التقدم الاجتماعى يصطدم بعقبات سياسية يجب عليه أن يجتازها . ولن يستطيع اجتيازها الا اذا اهتم بالميدان السياسى». وقوله : بان كل مشروع تحريرى يجب ان يحارب النوعين فى وقت واحد . وقوله : بان الرجالالذين يقودون الكفاح فى الميدان القومى سيجدون طبقة العمال فى جانبهم ما داموا يسعون الى تحقيق اهداف الوطن السامية ، وان النظام الاستعمارى الظالم سيجد طبقة العمال واقفة فى وجهه على مر الازمنة مادام يتحكم فى مصير الوطن التونسى او فى صرخته المدوية « ان جزء منه . بل من هنا كانت النظام الاستعمارى يتنافى منافاة باتة اصلية مع المصالح القومية سواء فى اتجاهاته الاقتصادية والاجتماعية ، او فى طرق عمله القانونية والادارية والحربية والاقتصادية والسياسية . ومن العبث محاولة تحسين الحالة الاجتماعية او قلب نظام المجتمع قبلالتخلص من النظام السياسىوالاقتصادى الاستعمارى – وبعبارة اخرى لسنا ببالغين هدفا من اهدافنا ما لم نبدل النظام السياسىالاستعمارى الموجود حاليا بنظام سياسى او اقتصادى يخصنا وينبت فى ارضنا .

أن الرسالة التى نؤديها لا تهدف الا الى تحقيق مصلحة طبقة العمال ، وسعادة شعبنا ورفاهيته ، وتحرير بلادنا – ولن نحيد عن طريقنا هذا ابدا ».

***

وكان يرى ان الحركة النقابية فى تونسيجب أن تخرج عن أن تكون محلية . ويجب أن يسمع العمال التونسيون اصواتهم وكل القضايا التى تخص الشعب التونسى والوطن التونسى الى كل

عمال العالم . ومن هنا راح يتصل بالنقابات العمالية الدولية . وراح الفرنسيون يعاكسونه في المجالات الدولية ــ وصبر حتى ظفر ، واعترفت النقابات الحرة العالمية « س ــ ي ــ س ــ ل » بان الاتحاد التونسي هو المنظمة النقابية القومية التونسية الوحيدة ، وانها تؤيدها وتتضامن معها ، وانها مستعدة لاعانتها على تكوين نقابات وطنية في الجزائر ومراكش . وانها توافق على توحيد العمل النقابي في المغرب العربي كله ــ ثم وعدت باعطاء اللغة العربية حظها في نشراتها ومجلاتها .

***

اغضبت هذه الاعمال المستعمرين الفرنسيين ، ولم يكن في مكنتهم الكيد للرجل عن طريق اعتقاله او تدبير التهم له فقد أصبح رجلا دوليا تتزعج النقابات العمالية في العالم من اجله ، وتسعى في سبيل الافراج عنه ورد حريته اليه . ومن هنا كان التفكير في اغتياله وتدبير امر تلك الجريمة البشعة المنكرة التي وصفناها من قبل .

***

ولد الرجل من اسرة فقيرة بائسة فقد كان ابوه صيادا من صيادي الاسماك . وضحى ابوه في سبيله بكل مايملك من جهد ومال وارسله الى المدرسة ولكن فقره حال بينه وبين الاستمرار في التعليم . لذا لم يلبث ان انقطع عن التعليم وهاجر من قرية العباسة الى مدينة صفاقس ليعمل كأجير بسيط . وبعد سنوات استأجرته الشركة التونسية للنقل بالسيارات ليقوم بالعمل في مكتبها بصفاقس كمحصل . ثم نقلته الى مكتبها في مدينة سوس كمحاسب . وبعد ذلك بفترة اشترك في مسابقة لاختيار بعض الموظفين فنجح وعين كاتبا للحسابات بفرع ادارة الاشغال العامة بصفاقس .

***

وفي كل هذه الاعمال كان مثال العامل المخلص ، والمواطن النزيه ، وكان يسهر على مصلحة اخوانه اكثر من سهره على مصلحته . ومن هنا احبوه ، وتبعوه في غير تردد ، وانقادوا له في غير احتراز ، واصبح عقلهم المفكر وعاطفتهم الثائرة وممثلهم النقابي الممتاز .

كانت أولى المشكلات التي واجهها في عمله النقابي مشكلة وطنية صرفة فقد كانت النقابات الفرنسية لا تسوى بين العمال الاوروبيين والعمال التونسيين ، وكانت تستخدم قوة العمال التونسيين في تحقيق اهداف بعيدة كل البعد عن مصلحة الشعب العربي في تونس . ومن هنا نراه يدعو الى الانسحاب من المنظمة الفرنسية ، والى تشكيل نقابات مستقلة عنها .

***

بدا بتشكيل النقابات المستقلة في الجنوب . في مدينة صفاقس . وعاونه في ذلك نقابي آخر ووطني مخلص هو الحبيب عاشور . وحين راى الرجلان ان نبتهما قد اثمر وان نقابات الجنوب قد اشتد ساعدها الى الحد الذي جعلها تسيطر تماما على الحركة العمالية في المنطقة ، عمد الى تكوين نقابات مستقلة في القطر كله ، وتفاهما في ذلك مع الحزب الحر الدستوري ، واتفقا على أن يبقى الحبيب عاشور ساهرا على القوة الأصلية بمدينة صفاقس ، وأن ينتقل فرحات حشاد الى تونس .

وفي تونس نجح حشاد في كل موقف ، وحقق كل ماكان يصبوا اليه من هدف ، واصبح ملء سمع البلاد وفؤادها ، وانتقل من الحيز الضيق الاقليمي الى الحيز الدولي العالمي واصبح لا ممثلا للعمال فحسب وانما ممثلا للحركة الوطنية في تونس . واحنق ذلك الفرنسيين ، وملاهم على الرجل غيظا وحقدا ، ففكروا في الخلاص منه ، وكانت نتيجة تفكيرهم تلك الحادثة البشعة المنكرة التي دبروها بليل ، ونفذوها في صباح .

***

ولد فرحات حشاد بجزيرة قرقنة ، في قرية العباسة ، يوم ٢ فبراير سنة ١٩١٤ . واغتيل يوم الجمعة ٥ من ديسمبر سنة ١٩٥٢ .

فرحم الله فرحات حشاد ورحم الله امثاله من كل وطني غيور يضحى بنفسه في سبيل مجد شعبه وامته .

د . محمد احمد خلف الله

الأصول العامة لنظرية الإسلام الاشتراكية

للدكتور محمد شعاد جلال

١ – نؤثر ان نقدم لهذه المقالة بكلمة «لبرناردشو» يقول : « لقد وضعت دين الاسلام موضع الاعتبار بسبب حيويته المدهشة فهو الدين الوحيد الذى يلوح لى انه حائز اهلية الهضم لاطوار الحياة المختلفة بحيث يستطيع ان يكون جذابا لكل جيل من الناس » وبالكلمة التى قالها « دوزى » احد المستشرقين الفاهمين ان المبادىء الاشتراكية هى من وضع الاسلام وانها وايم الحق الناحية الحساسة جدا فى صميم قواعد الدين الاسلامى – ولها جهات تنطوى على نبالة القصد لازالة ضغط الحاجة الملحة عن الفريق الرقيق الحال فى مجتمعنا البشرى ويخيل الى كلما توغلت فى الاهداف الشرعية التى نص عليها قرآن المسلمين فيما يتعلق بالحياة الاشتراكية انى أرى دموع محمد تنسكب على محياه الصوفى كلما ورد اسم فقير على لسانه . أو تحدث اليه متحدث عن فواجع الفقر والفاقة »

ونحن وان كنا نعتقد أن الاسلام · حيث يتخذ مكانه فوق النجوم – اعلى قدرا من الحاجة لأمثال هذه الكلمات – وان واقع احكام القرآن وتشريعاته اكبر من كل شهادة – الا أننا نتنزل فى سوق مثل هذه الكلمات الى بعض العقول التى الفت الاهتمام بتفكير اهل « أوربا » لأن حظهم الثقافى من تراثهم العلمى التاريخى بحاجة الى زكاة واستكمال .

٢ – يحدد الاسلام طريقه لايجاد الوضع الاقتصادى الذى يريده – والذى سنصوغ لتمثيلة نظريتنا عن الاشتراكية الاسلامية بوسائل نفسية ، وتشريعية – اكثر فاعلية ، واقوى اجتذابا لانقياد الناس من كافة الوسائل التى تتذرع بها الاشتراكيات الأخرى لتحقيق هذه الغاية المثلى

اولا : بتحديد وظيفة المال وعلاقته بمالكه

ثانيا : بتهوين شأن الدنيا ولفت النظر للتعويض الاخروى

وثالثا : باعلان الحرب على الشح ، والترف ·

ورابعا : بالدعوة المتكررة المصممة الى انفاق المال فى سبيل الله ، ومحاربة الفقر .

تحديد وظيفة المال :

٣ – لم يعتبر القرآن المال منفعة متحجرة فى يد من يملكونها من الافراد ، يتصرفون فيها بحسب اهوائهم من غير تقييد لهذا التصرف برعاية المصلحة لانفسهم وللجماعة : بل اعتبره اداة عاملة متحركة لمصلحة الجماعة : ووضع عليه قيودا فى هذا التصرف . فقال : فكلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال : « ولا تبذر تبذيرا » ، وقال : ولا تؤتوا السفهاء أموالكم · التى جعلها الله لكم قياما » أى اساسا يقوم به معايشكم ومصالحكم الفردية والجماعية ، وان هذا المال مردود فى اصل اعتباره – الى انه مال الجماعة

واعتبر المال فى ايدى مالكيه كأنه وديعة عندهم وانهم مستخلفون فيه يخلف بعضهم بعضا فى احرازه والانتفاع به : واذا كانت علاقة صاحب المال بالمال انه قيم عليه فقطوانه مستخلف فيه بغيره من الناس فما أجدره ، ان ينتفع به بحذر واعتدال وعلى اساس من النظر لحقوق الغير : قال تعالى « آمنوا بالله ورسوله ، وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » وقد قرن الكتاب فى هذه الآية بين الايمان وانفاق المال ليشير بذلك الى أنه لا يتم ايمان مسلم ذى مال يضن بانفاق ماله حيث امره الله : واعتبر المال الموجود فى ايدى الناس هو مال الله ، ليشير بذلك الى ثبوت حقوق من فرض لهم حقا فى هذا المال – لانه مال الله ؛ وليقطع من نفوس الاغنياء الاعتراض على ابتاء المال فى وجوهه التى الزمهم بها الشرع ؛ فقال : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

ومرة اخرى اعتبر المال مال الجماعة كلها : فقال « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » ليرشد بذلك الى أمرين : أو لهما أن العدوان على هذا المال بالاتلاف أو الانفاق فى غير الوجوه المأذون فيها شرعا، انما هو عدوان على مال الجماعة : فيجب ان تتضامن الجماعة فى منع وقوع مثل هذا العدوان بالوسائل التى تراها رادعة نافعة

وثانيهما : التذكير بان الثروة التى يكونها اى انسان ، قد اشترك فيها على الحقيقة مجهودات الجماعة كلها بالوسائط القريبة والبعيدة : فليس له أن يضن بحق ذوى الحقوق فى ماله عليهم وقد قصد القرآن قصدا – لأن يكون المال متحركا فى ايدى الطبقات كلها لا طبقة بعينها : فقال « ما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا

يكون « دولة » بين الاغنياء منكم » والمراد بقوله « دولة » ان يكون متداولا مستعملا بين ايد كثيرة لا محبوسا متحجرا في يد طائفة الاغنياء وحدهم : وقد لمح هذا المعنى كانت » اذ يقول » ان المال كالسماد لا يكون نافعا الا اذا وزع على مساحة كبيرة من الارض » .

وهكذا حدد الاسلام وظيفة المال تحديدا اشتراكيا واضحا

تهوين الاسلام من شان الحياة الدنيا

٤ ـ يهون الاسلام على نفوس المسلمين من شان الحياة الدنيا تهوينا منطقيا حكيما ـ وانما نعنى بالنص على التقييد بالمنطقية والحكمة . في شان هذا التهوين ، لان الاسلام دين واقعي عملي . لا يذهب في التهوين من شان الدنيا الى القدر الذى يصرف الناس عن القيام بواجبات الحياة . ويغريهم بترك العمل ، والتهرب من المسئوليات الشخصية والاجتماعية وانما نقصد ان الاسلام يهون من شان الدنيا بالمقدار الذى يرد النفس الى القصد والاعتدال في مطالبها ورغباتها ويصونها عن سعار المطامع الذى يسبب لها المذلة والهوان ويحرمها من طمانينة القلب، وسلام الضمير ، ويوقظ فى أعماقها المشاعر الطيبة التي تتجه بها في أعمالها ، الى ايثار الخير والمحبة والتنزه ـ اذا كانت في منازل الغنى واليسار ـ عن الشح والتقتير قال تعالى : « اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فيالاموال والاولاد، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما » وقال وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب ، وان الدار الاخرة لهيالحيوان لو كانوا يعلمون» وقال : « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور» وغير ذلك منالآيات الكثيرة" الدالة على هذا المعنى .

فهذا التهوين من شان الدنيا ولفت نظر المؤمن الى طلب الحياة الآخرة ، لانها الحياة الباقية السرمديه ، من أقوى العوامل ، النفسية التيتخفف من حرص المؤمن على المال ، وتدعوه الى البذل في سبيل الله ، وطلب الآخره : وهذا العامل له اعتباره، وتاثيره العظيم : فان الضوابط المادية على الناس فيما يلزمهم ببذل اموالهم ، او ترك التنافس في تحصيل المال واحراز مازاد عن حاجتهم منه ، موقوتة الأثر بمقدار بقائها غالبا اما جذبهم لعوض الاخرة فهو العامل المستمر وهذه احدى ميزات الاشتراكية الاسلامية فانما يراد لها ، أن تكون احساسا نابعا من النفس ، وانقيادا آتيا من القلب لا ان تكون عملية قهر وتنظيم بالضوابط المادية واساليب العنف والارهاب .

ويتفرع على مبدأ التهوين من شان الدنيا ان الاسلام عمل على محاربة الرذائل الآتية

(أ) الشح

ـ تبعا لسنة القرآن في التهوين من شأن الدنيا نعى على الشح وذمه ، وجعل الفلاح في التنزه عنه : قال تعالى : « ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » قالها مرتين : مرة في سورة الحشر ، ومرة فى سورة التغابن ، وقال في وصف المنافقين : « اشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم » والشح امساك النفس عن الخير ، والبخل وليد الشح ، وقد ذم الله المتصفين به ايضا ـ فقال « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » .

وقد فسرت السنة حقيقة الشح وضرره ، في قوله (ص) « اتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم » وقوله « اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح . امرهم بالقطيعة فقطعوا ، وامرهم بالبخل فبخلوا ، وامرهم بالفجور ففجروا»

وهذا أيضا علاج نفسي ايماني مقرون بتبصير المخاطبين بواقع الشح وعواقبه ، يراد به توطين النفس على ما يطالب منها من البذل في سبيل الله وما سبيل الله الا مصلحة الجماعة المشتركة في كل صورها ، كما سيتبين ذلك قريبا

(ب) العنجهية :

١ ـ من لوازم الراسمالية ، ومضادات الاشتراكية رذيلتان كبيرتان احداهما العنجهية وثانيتهما الترف وهما من اكبر بواعث الفساد المادى والادبى في الارض ، وطريق الامم التى تصاب بفتنتهما ـ الى الهلاك ، والانقضاء ، ولعل الراسمالية في صورها الغليظه لم تكن بغيضه الى الله ورسوله وسائر العقلاء الا من حيث استلزامها لهاتين الرذيلتين . الفاحشتين التجهتين لتنعير

الانسان والعمران فان العنجهية وهي شر مظاهر الخيلاء ، والكبرياء والتجبر تستفز أصحابها الى الظلم والاستطالة والبغى على الناس بغير الحق ، اذ يخيل لبعض الموصوفين بهذه الرذيلة — من حيث كثر مالهم وتفاحش استغلالهم لنفس الغير ، وثقلت أيديهم على أعناق الذين يعملون في نطاق ثرواتهم — أنهم بشر أعلى من البشر ، جنس متفوق فريد لا يرى بهم غيرهم من سائر ولد آدم : وينعكس هذا الخيال المريض على تصرفاتهم ، واعمالهم ، وتقديرهم لفكرة الحق والاعتبارات الانسانية فيظلمون ، ويفسدون ، ويقسون ، ويشوهون بأعمالهم وجه الانسانية وجمالها ويضعون بفسادهم وافسادهم في طريق الانسانية أعتى العوائق التي تمنع التقدم ، والأمن الملتمس في المناطق التي يوجدون فيها : قال تعالى حكاية عن موسى : « ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك » .

وبلغ من عنجهية هؤلاء الراسماليين المتكبرين ، انهم كانوا يعيرون الانبياء بمسارعة الجماهير الشعبية الى تلقى دعوتهم : ويتذرعون بذلك للصد عنهم وعدم الاستجابة لدعوتهم : يقول قوم نوح له وهو أقدم المرسلين : « ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من من فضل» فيجيبهم بما حكى القرآن على لسانه « وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ، ولكني اراكم قوما تجهلون » وتتكرر القصة هكذا مع غير واحد من الانبياء المرسلين : حتى سيدنا محمد (ص) فتكرر نفس المنظر ، ونفس المقالة ونفس الجواب من قبل النبى — ص —

فان كفار قريش كانوا يضيقون بمجالسة فقراء الصحابة للنبى كبلال وغيره ، فأنزل الله على النبى (ص) «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين» فاكد الله بذلك حق الفقراء الكامل ومساواتهم الكاملة للاغنياء في حفاوة النبى واهتمامه بمكانهم في صفوف الدعوة — وانهم بمجرد الايمان اكتسبوا في الكرامة حقا لا يستطيع النبى سلبه منهم اذ اصبح شأنهم مع الله مقدما على شأنهم معه : وهدد بأنه لو صانع على حسابهم لاخذ بعقاب الظالمين

(ج) الترف :

وهو الرذيلة التي اناط الله بها تدمير الامم فقال « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » ومعنى الآية : واذا حقت ارادة الهلاك لامة من الامم كان السبب لذلك فعل أنفسها وانحراف بنيها عن الصراط المستقيم : اذ يؤمرون من الله بالحق والشريعة الدالة على سبل الخير والحكمة في امر معاشهم ومعادهم ، فيفسقون عن هذا الامر ويتمردون عليه ، ويحملهم شيطان الترف ويسر النعمة ووفرة المال . على ارتكاب الفواحش ، والدخول مداخل السوء والاستذلال لمطالب الشهوات ، والخنوع لداعية الغرائز . فيكون سعيهم فسادا وفكرهم ضلالا . وبصرهم عمى ونشاطهم موجها ضد مصالحهم . عند ذلك تختلف قلوبهم وتتمزق جماعتهم وتتصدع وحدتهم فاذا هم على سطح الحياة غثاء كغثاء السيل . لايملكون لانفسهم منعة ولا دفعا . فيغلب عليهم عدوهم ويزيل من الارض كيانهم ودولتهم : وهذا هو تفسير الدمار الذى نصت الآية على أنه المآل الحتمى للترف والمترفين .

ونلاحظ ان اهلاك القرية مسند الى ارادة الله كما ان التدمير في الآية مسند الى الله أيضا فيخيل لمن لم يتمرس بأساليب القرآن أن في الامر اشكالا : وليس الامر كذلك . فقد درج القرآن على ان ينسب تأثير السنن الكونية في مفعولاتها الى الله سبحانه وتعالى . من حيث ان الله هو خالق الكون كله وخالق ما فيه من سننه . وذلك في القرآن كثير مثل قوله تعالى «هو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه الى بلد ميت » ، وقوله . « وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت » فان سوق الرياح وانزال المطر حاصل بفعل السنن الكونية لا محالة وليس من فعل الله المباشر لكن لما كانت السنن نفسها من فعل الله صح اسناد الفعل لله ولا يجوز عقلا ان يسلط الله ارادته الفاعلة على اهلاك امة بغير سبب اقتضى ذلك من فعل انفسها : وكأنما قصد القرآن قصدا الى توضيح هذا المعنى فقال . في آية أخرى « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » ، وقال « ان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

دكتور محمد سعاد جلال

بين المسايرة والاحتجاج فى أدبنا

للدكتور أحمد كمال زكى

حين تحول هنريك ابسن فى مسرحياته المتأخرة من الواقعية الى الرمزية قيل : لقد أراد ان يحتج ! باعتبار أن التعبير الرمزى بما فيه من توجيه يربأ ما فى الكشف الواقعى من صدع ، أو يكمل ما فيه من نقص . فالذهن لا يقنع أبدا بما هو موجود، وهو يحاول دائما أن يتعمق لينتقد ، وليس ثمة أقدر من الرمز على تخطى السطوح الى الاعماق .

ولكن « حالة » ابسن ليست قاعدة ، وان يكن نظيرها موجودا فى كل العصور . بل قد تجد من الرمزيين من يحس ان معاناته لا يبلورها حدسه ولا احجيته ، ومن ثم يلجأ الى التعبيرية كبديل مباشر للرمز .

واذن فقد نستطيع أن نثير من هنا قضية أدبية، ونستطيع فى الوقت نفسه أن نبسط هذه القضية بجملة أسئلة هى على النحو التالى :

لماذا يتحول الادباء من أسلوب فنى معين الى أسلوب آخر ؟ ألأنهم متقلبون أم لانهم يصلون الى مرحلة يحسون فيها بعجزهم عن الاستمرار على النحو القديم ؟ فاذا لم يكن هذا ولا ذاك فلماذا يستمر بعضهم ويتخلف الآخر أو يخلد فريق ويتوارى فريق ثان فى زوايا النسيان ؟

القضية ضخمة كما نرى ، وهى تمس الجميع.. حتى هؤلاء الذين يعالجون مشكلات الانسان ، وقد كان من هؤلاء طائفة خلطت لهذا العلاج على نحو تساير به أوضاع العصر !

وكان البحث السيكلوجى قد أكد ان الاديب الكبير يصل غالبا الى مرحلة يحس فيها بالخلف مع مجتمعه، ويرى أن من الضرورى أن يقوده الى المثل التى تتكشف فى عالمه . وهو احيانا يجد من الشجاعة ما يدفعه الى مجابهة مجتمعه بهذه المثل ، وأحيانا يلتوى التواء ابسن ، أو يسلك مسلك ابن المقفع فى « كليلة ودمنة » ان شئنا أن نقيس الحالة بنظيرها العربى .

وربما يعجز الاديب نهائيا عن أن يبوح ، فيكون الانغلاق ، أو يقع ذلك الغموض الذى يجعل العمل الادبى غالبا عملية ذهنية لا ضابط لها .

ونحن لا يعنينا هؤلاء ، وانما يعنينا الادباء الذين يحاولون أن يكونوا أنفسهم فى العمل الادبى .. الادباء الذين يصدقون ، وتكون نتيجة صدقهم مواجهة المجتمع باحتجاج محدد ويوطوبيا لها معالمها الواضحة

وفى هذه الحالة يفسر تحول ابسن الى الرمزية بوقوعه تحت تأثير هذا المبدأ الاخلاقى وهو الصدق، كما يفسر تحول ابن المقفع الى القصص الرمزى برغبته فى أن يعترض على ما هو كائن ليستبدل به ما ينبغى أن يكون .

وبعبارة واضحة رفض أن يساير ، وقرر أن يحتج !

وبوصولنا الى هذه النقطة نصل حقيقة الى جوهر ما نريد ، وهنا يعن لنا أن نسأل من جديد : ماذا كنا نحن فى آثارنا الفنية المكتوبة ؟ أغلب علينا الاحتجاج فى الادب أم استأثرت بنا المسايرة ؟

والاجابة ليست سهلة اذا عرضنا لتاريخنا الادبى فى شتى بيئاته ، وكانت كل بيئة - داخل الاطار الفنى التقليدى - تفرض أسبابها وتلون آثارها الالوان التى يصعب انكارها ، غير اننا لاحظنا أنه بالاضافة الى الهوة السحيقة التى كانت بين غايات الادب وغايات المتلقين لهذا الادب ، بدا ان جزءا ضخما من تراثنا الفنى قد ضل الطريق . وكانت القرون الطويلة التى قطعتها رحلة الادب قد كشفت عن أن الخلق الادبى لم يكن خالصا لوجه الفن،وكان لوقوعه فى سر نظريات الاغريق البلاغية - التى تقوم على المنفعة آنا واللذة آنا آخر - أثر فى انحرافاته التى لم تشكل وحدة متطورة بقدر ما صورت قفزات بعضها مضىء وأغلبها معتم !

هذا التخلخل القائم أساسا على فقدان الاتجاه الفنى المسدد هو أول الصعوبات التى تواجه مؤرخ الادب . غير أنه يلحظ بسهولة ان الجاهليين - باستثناء صعاليكهم - أضفوا على الشعر طابع المسايرة ، وكان النثر الفنى مخنوقا بحاجات الخطيب ومطالب الكاتب المحدودة .

وفى أيام الأمويين لم يواجه الاديب تحديا ، بل قل أن نجد أديبا يقيم مثلا يدعو اليها أحدا . حقا نجد واحدا كالفرزدق يحتج على الخليفة فى دمشق ، الا أن احتجاجه لم يكن ليبقى بعد أن يرفع الخليفة ما وقع على تميم - قبيلة الشاعر - من ظلم .

واما شعراء الاحزاب ، فلم يكن احتجاجهم بالقوة التى يضمنون له البقاء بها . وكان واحد كالسيد الحميرى يمالىء العباسيين ، وكان دعبل الخزاعى

يتورط في مدح بعض من يهاجمون الشيعة ، وهكذا ..

وخارج ذلك النطاق نرى المسايرة يضطرب فيها المدح والفخر والهجاء والرثاء وماشاكل ذلك مما يسمى – في عرف القدماء – بفنون الشعر ، ولم يشذ الشعراء الكبار الا نادرا . ومن ثم التقى شعر المتنبي بكثير من شعر سابقيه ، وكان حريا أن يضيع لولا هذه الومضات الانسانية التي تتكشف حينا بعد حين .

وربما كان بقاء انتاج المعري أضمن وأوثق ، لوجود تلك الومضات من ناحية ولوجود الاحتجاج التي تفسرها فلسفته من ناحية ثانية . ولعلنا من هنا نعجز عن أن نجد في أدبنا واحدا كالمعري يجمع في آثاره التعبير عن قضايا الانسان الكبيرة والتعبير عن سخطه وتفكيره في يوطوبياه الهادئة .

ولعل حازما القرطاجني المتوفى في القرن السابع الهجري كان أعمق بلاغيي العرب في تحليله طبيعة فن القول من حيث الصدق والكذب ، كما استطاع أن يقدم تبريرا عقليا للقاعدة التي وضعت لتقصيد منذ قديم وهي : أعذب الشعر أكذبه !

قال في كتابه « منهاج البلغاء وسراج الأدباء » الذي نشر بعضه الدكتور عبد الرحمن بدوي : ان الاديب شاعرا كان أو خطيبا له أن يكذب ، ولكنه الكذب الذي هو أقاويل مخيلة في الشعر والذي هو يقنع عن طريق الاستهواء والتمويه في الخطابة ، على أنه لا يليق الكذب اطلاقا حين يقصد الاديب الى « مناصحة ذوي التصافي » .

هكذا ببساطة وبصراحة . وان يكن بعض الدارسين أجمع على أنه كان يناقش مبدأ الخير في « جماليات » الادب . ولم يختلف عنه أدباء العصور الوسطى في أوروبا ، حيث لم يكونوا يسمحون للخيال بأن ينشط الا حيث يكون الخير محك كل شيء !

تلك المشكلة موضوع آخر جدير بالبحث ، غير أن مبدأ الكذب الذي يلازم دائما أدب المسايرة كان موضوعا جديا للبحث الرشيد . وقد بقي سائدا عصرنا هذا ، وعاش في ظله معظم الادباء العرب حتى ثلاثينات هذا القرن . وكانوا يصدرون عن ايمان بأن أعذب الشعر لا يزال أكذبه ، وأن أجمل النثر ما كان صنعة بيانية لا تكشف عن شيء أصيل .

كان أدب هؤلاء أدب الممالأة ، ولم تجد لهجات الحجاج البليغة ، وشذت فئة قليلة كان المازني بعض آثارها ، وكان طه حسين في قسم من قصصه من هذه الفئة ، بينما غلب على الشعراء روح المسايرة بصفة عامة . واليوم نجد نجيب محفوظ ، وهو في أعماله الاولى لم يناقش قضايا ضخمة كما فعل في « أولاد حارتنا » أخيرا ، ولكن نغمة الاحتجاج هي التي كفلت لتلك الاعمال بقاءها . وهي نفسها التي تسم أعمال الشرقاوي ، ثم هي التي لم تخل منها بعض أعمال شباب هذا الجيل في العالم العربي كله .

والا فلنعد نقرأ أعمال صلاح عبد الصبور وبدر شاكر السياب والبياتي وعلي أحمد سعيد من الشعراء ، ويوسف ادريس وسميرة عزام وغسان كنفان وزكريا تامر ومحمد ديب من القاصين .

الادب عند هؤلاء لا يسلم بما هو كائن ، ولا يرضى عن كثير مما يراه .. فقد تغير منطقه ، وتغير بالتالي حكمه على الاشياء ، ولم يعد يؤمن بجبرية القدر ، لان له عقلا واعيا ، ولان الحياة تجبر الانسان على الا يواجهها بالتسليم المطلق .

الادب عند هؤلاء تفسير للحياة .. عملية اسهام في وضع المفاهيم الجديدة التي تكفل شتى الحلول لشتى المشكلات .

الادب عند هؤلاء نقد واعتراض ، وهذا النقد نقله من محليات الاقليم الى عالميات الكون .. هو خطوة لان يبعد الاديب ببصره ، وتتسع آماله حتى تعانق رغبات الانسانية جميعا .

زكريا تامر مثلا قد يقف عند المجتمع السوري معترضا ، غير أن اعتراضه هذا يهيىء له أن يعالج التجربة في علاقاتها الانسانية كلها ، لان القياس لا يتحقق الا بوجود الكل ، واذا خرجت التجربة من اطارها المحلي فلا بد من أن تزهر وتثمر .

وصلاح عبد الصبور .. في رموزه وأساطيره وفي صوره ، يؤكد أن اغناء تجربته عن طريق الاحتجاج أحد مدارج العالمية ، وليس من ريب في أن النمو الذي نلحظه اليوم في شعره يدل على أنه في الطريق الى المشكلات الكبيرة للانسان .

وغير زكريا وصلاح كثيرون ..

انهم على الدرب ولن يتوقفوا ، وفي غد سيأتي الجيل الذي يقول : هؤلاء نقلوا أدبنا من طبيعة المسايرة الى الاحتجاج ، فخرجوا به من محليته الى الاطار الانساني الكبير .

دكتور
احمد كمال زكي

عُبَادة بن الصّامت

للواء الركن محمود شيت خطاب
وزير البلديات في حكومة العراق

مع النبي :

قدم مكة الحيسر أنيس بن رافع في مائة من قومه من بني عبد الاشهل يطلبون الحلف مع قريش ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام ؛ فقال اياس بن معاذ وكان شابا حدثا : « يا قوم ، هذا والله خير مما جئنـــا له ! » ، فضربه الحيسر وانتهره ، فسكت ! ولم يتم لهم الحلف ، فانصرفوا الى المدينة .

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي عند (العقبة) ستة نفر من الانصار كلهم من الخزرج ، فدعاهم الى الاسلام فآمنوا وأسلموا ، وقالوا : « انا قد تركنا قومنـــا وبينهم حروب فننصرف اليهم وندعوهم الى ما دعوتنا اليه ، فعسى الله أن يجمع كلمتهم بك ، فان اتبعوك فلا أحد أعز منك » .

وانصرفوا الى المدينة فدعوا الى الاسلام حتى فشا فيهم ، ولم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى اذا كان العام القادم ، قدم الانصار اثنا عشر رجلا ، منهم خمسة من الستة الذين ذكرنا وحضرها سبعة آخرون كان أحدهم عبادة بن الصامت بن قيس الانصاري الخزرجي .

وشهد عبادة العقبة الثانية ، وبايع مع من بايع من الانصار على أن يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزرهم ، وان يرحل اليهم وأصحابه .

لقد كان عبادة أحد النقباء الاثني عشر ، وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي مرثد الغنوي . وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم فكان عقبيا نقيبا بدريا انصاريا ، وقد استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض الصدقات وقال له : «اتق الله ! لا تأتي يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة لها ثؤاج » ، قال : « فوالذي بعثك بالحق ، لا أعمل على اثنين » . وكان قد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على الا يخاف في الله لومة لائم .

وكان بنو قينقاع حلفاء عبـــد الله بن أبي بن سلول ، كما كانوا حلفاء عبادة ، فلما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عبدالله ابن أبي دونهم فقال : « يامحمد ! أحسن في موالي » ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظللا . اما عبادة فقد مشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلعهم وتبرأ من حلفهم ، وقال : « يا رســول الله (أتولى الله ورسوله صـــلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم » ، ففيـه وفي عبـد الله بن أبي نزل قول الله : (يا أيهـا الذين آمنوا لا تتخـذوا اليهود والنصارى اولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين) . وقد أمر الرسول القائد أن يجلوا من المدينة وولي اخراجهم منها عبادة .

لقد كان عبادة مثالا للامانة والاخلاص والايمان العميق .

جهـاده :

كتب يزيد بن أبي سفيان الى عمر بن الخطاب : « قد احتـاج أهل الشـام الى من يعلمهم القرآن ويفقههم » ، فارسل عمر معاذ بن جبل وعبادة وأبا الدرداء ، فأقام عبــادة بحمص فاستخلفه عليها أبو عبيدة بن الجراح عندما سار لفتح (اللاذقية) ثم صرفه لفتح (انطرطوس) ففتحها .

وشهد فتح مصر وكان أمير ربع المدد ، فقد اشفق عمر بن الخطاب على عمرو بن العاص فارسل الزبير ابن العوام في أثره في اثني عشر ألفا ، وفي رواية أن عمرا مد عمروا بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف رجل منهم رجل مقام ألف : الزبير بن العوام والمقداد ابن الاسود وعبادة بن الصامت وخارجة بن حذافة وقال عمر : « اني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم مقام ألف » .

وأرسل المقوقس يقول : « ابعثوا الينا رسلا منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم الى ماعساه يكون فيه صلاحلنا ولكم » ؛ فبعث عمرو عشرة نفر أحدهم عبادة ، وكان أسود اللون ضخما طويلا ، وامره أن يكلم القوم والا يجيبهم الى شيء دعوه اليـه الا احدى هذه الخصال الثلاث . ودخل القوم على المقوقس وأراد عبادة مخاطبته ، فلما رآه قال : « نحوا عني هـذا الاسود وقدموا غيره يكلمني » ، فأجابوه جميعا : بأنهم يرجعون الى قول عبادة ورأيه . وتكلم عبادة

وذكر ما أمر الله ورسوله المسلمين به من الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، والجهاد في الله وحب الاستشهاد في سبيله . فقال المقوقس لعبادة : « لقد توجه الينا لقتالكم من جمع الروم مالا يحصى عدده ، قوم معروفون بالنجدة والشدة ممن لا يبالي احدهم من لقي ولا من قاتل ، وانا لنعلم أنكم لن تقدروا عليهم لضعفكم وقلتكم ، وقد أقمتم بين اظهرنا شهرا وأنتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ، ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بأيديكم ، وتطيب أنفسنا ان نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين ولأميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار ، فتقبضونها وتنصرفون الى بلادكم قبل أن يغشاكم مالا قوة لكم به » ، فأجاب عبادة مزدريا جمع الروم وعددهم ، ذاكرا قوله تعالى : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين) ، وأن كل رجل من المسلمين يدعو ربه صباح مساء أن يرزقه الشهادة ، وأنهم الى ذلك في أوسع السعة من معاشهم وحالهم ، ثم قال : « فانظر الذي تريد فبينه لنا ، فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك أو تجيبك اليها الا خصلة من ثلاث ، فاختر أيتها شئت ولا تطمع نفسك في الباطل . بذلك أمرني الأمير ، وبها أمره أمير المؤمنين ، وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل الينا » . ثم ذكر له أنهم ان أسلموا انصرف العرب عنهم ، وان أبوا الاسلام وأدوا الجزية أدخلهم المسلمون في حمايتهم ودافعوا عنهم ، وان أبوا الاسلام والجزية جميعا ، فليس الا الحرب .

وحاول المقوقس عبثا أن يصرف عبادة الى خصلة غير هذه الخصال الثلاث ، والتفت الى من معه يستطلع رأيهم فأبوا اجابة المسلمين الى شيء مما طلبوا ، فانصرف عبادة وأصحابه لم يغيروا مما قالوه حرفا .

ونشب القتال بين الطرفين حول حصن بابليون ، فأحرز المسلمون النصر بعد أيام معدودة من مفاوضة عبادة والمقوقس .

وشهد عبادة معارك فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص ، وفي رواية أنه فتح الاسكندرية ، فقد كتب عمر بن الخطاب الى عمرو : « أما بعد فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر، انكم تقاتلونهم منذ سنتين ، وما ذاك الا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم . وان الله تبارك وتعالى لا ينصر قوما الا بصدق نياتهم . وقد كنت وجهت اليك أربعة نفر وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ماكنت أعرف الآن يكونوا قد غيرهم ما غير غيرهم . فاذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم في الصبر والنية ، وقدم أولئك الاربعة في صدر الناس ، ومر الناس جميعا أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد ، وليكن ذلك عند زوال يوم الجمعة ، فانها ساعة تنزل الرحمة ووقت الاجابة ، وليعج الناس الى الله ويسالونه النصر على عدوهم » ..

وتلا عمرو كتاب أمير المؤمنين وأخذ يفكر في خطة يفتح بها الاسكندرية ، ثم دعا عبادة فعقد له ففتح الله على يديه الاسكندرية .

وعاد الى أرض الشام فشهد مع معاوية بن أبي سفيان فتح جزيرة قبرص ، وكان له أثر حاسم في فتح هذه الجزيرة .

الانسان :

كان عبادة من المسلمين الأولين وكان نقيبا وشهد العقبة الأولى والثانية والثالثة ، وكان يقول : « أنا من النقباء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة » وكان ممن جمع القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الا يخاف في الله لومة لائم ، فكان في كل عمره يعمل بذلك . كان معاوية قد خالفه في شيء أنكره عليه عبادة في الصرف ، فأغلظ له معاوية في القول ، فقال له عبادة : « لا أساكنك بأرض واحدة أبدا » ، ورحل الى المدينة . فقال له عمر : « ما أقدمك ؟ » فأخبره ، فقال عمر : « ارجع الى مكانك ، فقبح الله أرضا لست فيها ولا أمثالك» . وكتب الى معاوية : «لاامرة لك على عبادة!» . وقد ذكر معاوية الفرار من الطاعون ، فأنكر ذلك عليه عبادة ، فقام معاوية عند المنبر بعد صلاة العصر ؛ فقال : « الحديث كما حدثني عبادة ، فاقتبسوا منه ، فهو أفقه مني » . ولعبادة قصص متعددة مع معاوية وانكاره عليه أشياء ، وفي بعضها رجوع معاوية له ، وفي بعضها شكواه الى عثمان منه ، وكل ذلك يدل على قوته في دين الله وقيامه في الامر بالمعروف .

ولماذا نعجب من ذلك ، وقد كان عبادة يعاتب حتى عمر بن الخطاب ، فقد قال عمر لجبلة بن الايهم : «ان أقمت على دينك فأد الجزية » فأنف منها جبلة ، فقال له عمر : « ما عندنا لك الا واحدة من ثلاث : اما

الاسلام ، واما أداء الجزية ، وأما الذهاب الى حيث شئت » ، فدخل بلاد الروم ، فلما بلغ ذلك عمر ندم وعاتبه عبادة فقال : « لو قبلت منه الصدقة ثم تألفته لأسلم » ٠

لقد ارسله عمر الى الشام يعلمهم القرآن ويفقههم ؛ وكان قبل ذلك يعلم أهل الصفة القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أول من ولي قضاء فلسطين ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث وواحد وثمانين حديثا ، وكان أحد أصحاب الفتيا من الصحابة وكان قد تفقه في دين الله ٠

ولاه أبو عبيدة امرة حمص ثم صرفه الى الجهاد ، ولما توفي أبو عبيدة ولاه عمر حمص ثم صرفه الى الجهاد في مصر ، ولكنه عاد الى أرض الشام فلم يزل بالشام حتى توفي بالرملة وقيل ببيت المقدس سنة أربع وثلاثين (٦٥٤ م) وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، أي أنه ولد سنة ثمان وثلاثين قبل الهجرة (٥٨٦ م) ، وكان رجلا طوالا جسيما جميلا ، وله عقب ٠

لقد كان عبادة من سادات الصحابة وكان محدثا فقيها عالما ورعا غاية الورع ٠

يعمل لعقيدته أكثر مما يعمل لنفسه ، بل قد نسي نفسه من أجل عقيدته ٠

القائد :

كان عبادة رجلا معدودا بالف رجل ، وقيمته المرموقة هذه لها سببان: شجاعته الشخصية واقدامه اولا ، وعقيدته الراسخة وايمانه العميق ثانيا ٠

كان وجوده ـ مجرد وجوده في جيش من جيوش المسلمين كافيا لرفع معنويات ذلك الجيش واقدامه على تحمل أشق أعباء القتال ٠٠٠ اذ كان يثير في نفوسهم النخوة والنجدة بمثاله الشخصي في التضحية والاقدام ، كما كان يفجر في نفوسهم ينابيع الايمان بالقضاء والقدر والتطلع الى الشهادة في سبيل الله ٠

لم يكن عبادة يكترث بالموت ، بل كان يسعى اليه سعيا حثيثا ، وكان شعوره هذا ينتقل الى نفوس من يحيط بهم فيعمل في نفوسهم عمل السحر الحلال ٠

لقد كان بالاضافة الى تمسكه الشديد بعقيدته وتفانيه في خدمتها ، راجح العقل ألمعي الذكاء ، يبذل قصارى جهده للحصول على معلومات كافية عن عدوه ، لذلك كانت خططه صائبة دائما ٠ كما كان لماضيه المجيد في خدمة الاسلام أثر كبير في حب رجاله له وثقتهم الكاملة به ، وكان بدوره يبادلهم حبا بحب وثقة بثقة ٠

وكان يدقق كثيرا في (اختيار مقصدته وادامته) ويبذل كل جهده لانجاز (تحشيد قوته) ويحرص غاية الحرص على عدم اعطاء خسائر لا مبرر لها بالارواح وذلك باتخاذ تدابير (الأمن) ، وكان (يديم معنويات) رجاله ويؤمن لها احتياجاتها (الادارية) ٠

ان عبادة قائد عقائدي من الطراز النادر ٠

عبادة في التاريخ :

يذكر التاريخ انه كان أحد الاثني عشر نقيبا كان لهم الأثر البعيد في نشر الاسلام بين الأوس والخزرج من اهل المدينة المنورة ، فمهدوا بذلك لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه اليها وجعلها القاعدة الأمينة لنشر الاسلام بعد الهجرة ٠

ويذكر له جهاده المتواصل تحت لواء الرسول القائد لحماية حرية نشر الدعوة الاسلامية ٠

ويذكر له جمعه القرآن الكريم ، وروايته لكثير من السنة النبوية ، وعمله الدائب في تفقيه الناس بالمدينة وأرض الشام ٠

ويذكر له انه كان من أوائل قضاة المسلمين الذين كانوا باقوالهم واعمالهم أسوة حسنة لقضاة المسلمين في كل زمان ومكان ٠

ويذكر له صلابته الفذة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تجاه أمير المؤمنين وامراء الأمصار وقادة الجيوش ٠

ويذكر له فتحه بلدا في أرض الشام ومدينة في مصر ، واثارته ينابيع التضحية والفداء في جيوش المسلمين المجاهدة لفتح الشام ومصر ٠

انه أمة في رجل ٠٠٠ انه مدرسة كاملة ٠٠٠ انه نسيج وحده ٠

رضي الله عن الصحابي الجليل ، النقيب الأمين ، المحدث الفقيه ، القاضي العادل ، القائد الفاتح ، عبادة بن الصامت الانصاري ٠

محمود شيت خطاب

أبو تمام والتجديد

للدكتور عبد الرحمن عثمان

- ١ -

أبو تمام شاعر فحل، وصاحب مدرسة في الشعر العربي كله ، والتعريف به هنا لا يتناول كل جوانبه الفنية التي تزاحمت أخبارها فيما كتب عنه قديما وحديثا ، وانما هو تعريف قصدت به القاء أضواء على جوانب تلك الشخصية العظيمة، ولا على بعد ذلك اذا انحسرت الاضواء عن بعض جوانبه الشامخة ، فالرجل عظيم ، وحديثنا عنه محدود بما أخذنا به أنفسنا من وجازة وهدف معين .

والخطوط العريضة التي رأيت أن أرسم بها شخصية الشاعر وفنه ، تلوح لي الاطار التالي :

١ ـ عرض سريع لحركة التجديد والتطور في الشعر العربي .

٢ ـ التعريف بكل ما يتصل بمولده ، ونشأته ، ونسبه ، ورحلاته وآماله ؛ ومن اتصل بهم ؛ ووفاته .

٣ ـ ثقافته وأثرها في فنه .

٤ ـ مذهبه الفني ، وينتظم هذا : التكلف والصنعة ، وعمود الشعر العربي .

٥ ـ ما له ، وما عليه ، مع كلمة عن أغراضه الشعرية .

* * *

الجمود والتجديد

وصف الأصمعي الشعر العربي بقوله : « الشعر جزل من كلام العرب، تقام به المجالس، وتستنجح به الحوائج ، وتشفى به السخائم » ، والاصمعي ـ كما نعلم ـ مخضرم عاش في الدولتين الأموية والعباسية ، وشهد حركة الترجمة ، واستمع الى المحدثين من أمثال بشار ، وأبي العتاهية ، ومسلم ابن الوليد ، كما نعلم عنه كذلك ، أنه عاش حياته كلها لا يؤمن الا بالشعر القديم ، ولا يرى حسنة لهؤلاء المحدثين الذين يلتقي بهم في المحافل وفي قصر الخلافة ، ولئن كانت أغراض الشعر في تقديره كما وصف حينذاك ، فان المولدين يرون في موضوعات الشعر ما هو أبعد من ذلك مدى ، وأكثر تنوعا ، فالشعر القديم كانت له أغراضه التي استمدها من بيئته ، والشعر الجديد في عصر التحول الفكري يجب أن يبسط سلطانه على كل ما في هذه الحياة التي اتسعت آفاقها بما جد فيها من أمور ، وما طرأ عليها من تغيير ، فالشعر في نظر المولدين لا ينبغي أن تقتصر رسالته على ما أجمل الاصمعي ، بل لا بد أن يتناول كل شيء في بيئته ، وأن يساير في نهجه وأخيلته تلك الثقافات التي ترجمت ، بأن يقتبس منها ما يكسبه جمالا على جماله بحيث يسيغه الذوق الذي صقلته الحضارة وأخصبته الثقافة المترجمة .

وهذا ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) يقرر في كتابه الشعر والشعراء حين يتحدث عن الشعر القديم والجديد فيقول : « ... فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه مواضع متخيرة ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا أنه قيل في زمانه ورأى قائله ، ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده، وجعل كل قديم منهم حديثا في عصره » .

وعلى ضوء ما قرر ابن قتيبة نتناول أمر التجديد في الشعر على عصر العباسيين ، لان الذي أحدثه قيام دولتهم ظهر واضحا في ضعف الملكة ، واستعارة المحسنات البديعية ، والالحاح على المعنى ، والمضي في المبالغة ، ثم تناول الشعراء في شعرهم أغراضا شتى يسرتها لهم البيئة واضطرهم اليها أسلوب الحياة الاجتماعية ، والعقلية ، والنفسية ، وبما أن الشعر مظهر من مظاهر النفس ، وتعبير صادق عما ينطبع عليها من شئون العيش الجديد ، فان الشعر سيصورها للناس كما وجدها وكما يجدونها ، وسيترجم للمجتمع آلامها التي يحس بها هؤلاء وأولئك ، وآمالها التي يعيشون من أجلها ، فاذا جانب هذا النهج كان كالببغاء تحكي ما لا تفهم ، وجاء تأثيره على النفوس فاترا لا ظل للواقعية فيه .

واذن فمن الطبيعي أن يجد على الشعر جديد في : فنونه وأساليبه ، ومعانيه وأوزانه حتى يساير شعور الجيل الذي تأثر بالحضارة ، وعب من معين الثقافات الاجنبية حتى ارتوى .

وكان الشعر يروى في عصر بني أمية للاستدلال به على القرآن والحديث واللغة ، ولم يهتم العلماء بتدوينه حينذاك ، فلما آلت الخلافة الى العباسيين، وتغير الدم العربي في الربع الاخير من القرن الثاني تأثر الشعر العربي في طريقته ، فنحى منحى الرقة،

ونزل عن أساليبه القديم ونهجه الذى كان يصدر عن ذوق عربي خالص ، فوصف للعـــرب وهم خارج جزيرتهم بيئتهم الجديدة ، ومال فى بعض أوزانه الى الخفة التى تجتذب العوام ، وتحرك النفوس ، « وفى سنة ١٤٣ ، شرع العلماء فى تدوين كتب اللغة والتاريخ وأيام الناس ، وقبل هذا العصر كان الائمة يتكلمون من حفظهم ، او يروون العلم من صــحف صحيحة غير مرتبة » ، ثم بدأ العلماء فى عصر المهدى (١٥٨) يدونون الشعر على ما سنعرض له فى مناسبة أخرى ٠

وبقيام الدولة العباسية ، انتقلت الزعامة الادبية من الحجاز ودمشق الى عاصمتهم بغداد ، فقصــدها الأدباء من كل فج ، وهوت اليها أفئدة الفنانين من شتى الآفاق ، لانها قلب المملكة الاســلامية الخافق بالشعر ، والعامر بحب الفنون ، ولان فى بغــداد علية القوم من مصابيح بنى هاشم وأجاويد بنى برمك ، وديدن الشعراء أن تجتذبهم المنح ، وأن تستهويهم حياة الترف والنعيم :

تسقط الطير حيث ينتثر الحب
وتغشى منــــــازل الكرماء

وقد تواترت الاحاديث عن ساكنى بغداد فى هذه الفترة بأنهم قوم ظرفاء ، برعوا فى فن المنادمة ، وكلفوا بتناشد الاشعار فى أنديتهم وفى اسواقهم ، يقبلون على الآداب فى شوق ورغبة ، ويسعون الى الشعراء فى اعجاب واكبار ، فلا عجب أن تضم بغداد مثل هذه النخبة التواقة فلقد انتهى اليها المجد الادبى الذى كان للبصرة والكوفة وعقد لها لواء الشعر الذى كان يرف على دمشق عاصمة الامويين ، ومن ثم جذبت مكانتها الادبية شعراء البادية ، أولئك الذين وفدوا عليهــا ابتغاء الرزق من أكف الخلفاء والوزراء ، أو التماسا لحياة أهدأ من حياة البادية ٠

وهكذا ظهر فى مجامع بغداد ضربان من الشعر ، يختلفّ أحدهما عن الآخر اختلافا واضحا :

(أ) شعر أولئك الذين انحدروا اليها من البادية ، تهدر به ألسنة البغداديين قويا جزلا ، ففى ألفاظه جهامة الصحراء وصلابتها وفى معانيه سذاجة البادية وضحل ثقافتها ، وان حمل الى ذلك صراحة وجدها ، وصدق احساسها ، وقرب معانيها ، والوفاء لتقاليدها الموروثة فهذا محمد بن المولى الاعرابى كان يختلف الى الحواضر ، وينشد فيها نسيبه الرقيق كقوله :

أحن الى ليلى وقد شـــطت النوى
بليـــلى ، كما حن اليراع المثقب
تقربت ليلى كى تثيب ، فزادنى
بعادا على بعـــد اليهـا التقرب
وابكى ، فلا ليلى بكت من صبابة
الى ، ولا ليلى لذى الود تبـــذل

ولان الشــاعر كان يجرى فى نسيبه على عادة عربية بريئة فى بعض أحوالها ، لم يتحرج أن ينشد ذلك فى المساجد على سمع العابدين وبصرهم ، ولكن واليا ورعا رأى فى تلك الظاهرة مايشجع على الفساد او يمس ضمائر الاتقياء ، فاستدعى محمد بن المولى ، واغلظ له بقوله : « أتشبب فى حرم المسلمين ، وتنشد ذلك فى المحافل والمساجد ظاهرا ؟! » ، فقال ابن المولى : امرأتى طالق ثلاثا ان كانت ليـلى الا قوسى هذه ، ذكرتها على سبيل التشبيب ، لان القريض لا يحسن الا بالنسيب ٠

وقد يوضح لنا مذهب أهل البادية فى الشعر ، قول شاعرهم :

ســـلا دار ليلى : هل تبين فتنطق
وأنى ترد القول بيـــداء سملق ؟
عفتها الرياح الدامســـات مع البلى
بأذيالهـــــا ، والرائح المتعبق
بكل شآبيب من المـــاء خلفهـــا
شآبيب ماء مزنهـــا متألق

❊ ❊ ❊

(ب) وشعر المولدين وأهل الحضر الذى ينساب من افواههم رقيق الحاشية ، عـــذب النغم ، تجمله الزينة ، وتلمع فى نسجه ومضات الثقافة الاجنبية ويجرى فى مائه أنس الحضارة وعمق الجيل الجديد ، ويجئ على رأس هذه الطائفة :

بشار بن برد ، وأبو نواس ، وأبو العتاهيـــة ؛ ومسلم بن الوليـــد ؛ والعتابى وديك الجن ، ثم أبو تمام ومدرسته مما سنعرض له فى الحديث عنه

وبهذين اللونين من الشعر كانت تعمر محافل بغداد ، وتسمر أنديتها فما يودع قصر الخليفة شاعرا الا ليستقبل فنانا ، ومجالس الامراء والوزراء والقواد ما كان جل حديثها الا عن الشعر والشعراء والظرف والظرفاء ، وفى غير هذين من أحياء بغداد ترى فى المساجد حلقات للادب ، وفى الحدائق معارض أخاذة لهذا الفن الجميل ٠

وعلى صفحة الشعر المتالقة تتحدد قسمات الحياة وترتسم صور المجتمع وفي مرآته المجلوة تتعاقب الخلجات النفسية التي هي في حقيقتها اصداء تلك الحياة وتمثيل لواقع ذاك المجتمع ، فالشعر الصادق هو ما عبر عن مجتمعه ، وافصح عن مدى انفعال الشاعر وتأثره بكل ما يجرى حوله ·

ولم يشذ الشعر فى عصر بنى العباس عن هذه القاعدة التى تقررها طبيعة الفنون ، بل استجاب الى ما اقتضاه هذا التحول الجديد ، فارتبط في شتى فنونه ودعاياته بما جد في الحياة نفسها من فنون وغايات ، وعرض صفحته لاستقبال اشعاع ثقافى لم يعهده من قبل ·

وعلى الرغم من معارضة أنصار القديم واستبسالهم فى دعوتهم فان تيار التطور الهادر أغرق صيحاتهم فى محيطه ، وقذف بهم على شاطئيه كأنهم الاعواد اليابسة وقد زاد فى ثقلها طول مكثها فى الماء الذى لا تألفه ، ومضى التطور الى غايته والشعر يحدوه ويترسم خطاه ·

وما كان للشعر أن يجمد والحياة منحوله تتحرك، لانه ظلها الذى لا ينفصل عنها ، وما دام التطور قد امتد أثره الى الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية فالشعر لا محالة متطور تلقائيا على ضوء ما أسلفنا ·

وهذا عرض سريع لمظاهر هذا التغيير الذى حدث بقيام الحكم العباسى ، وانتقال العرب من حياة البداوة الى الحضارة والترف ووقوفهم على ثقافات الامم الاخرى ، وكان الشعر العربى فى طليعة الركب يسجل معالم الحضارة الجديدة،ويقبس من الثقافات الاجنبية ما يزيده ثراءوتنوعا فىالاغراض والاساليب وما يكسبه جدة فى المعانى والأخيلة ·

لقد كان التطور فى شتى مرافق الحياة العباسية رسالة نبيلة حملها الشعر في قوة ، وظاهرها في تصميم ووفاء،ولئن ذهبت معالم تلك الحضارة وعفى عليها الزمن ، فانها باقية فى الشعر العربى ينشر نبأها على الناس ، ويقص أمرها على الاجيال ·

سلك الشعر العربى فى هذه الفترةمسالك جديدة ظهرت فى ألفاظه ومعانيه وأخيلته وفنونه وأوزانه ، وتنوعت مذاهب الشعراء فى القول،واختلفت طرائقهم فى الصياغة والتصوير فمن معان جديدة ! الى مبالغة مقبولة أو مسترذلة ، ومن كلف بالبديع وغرام بالزينة الى احتفال بالعمق فى المعانى واستقصائها ومن عكوف على وصف الخمر والغلمان الى ولع بشعر الحكمة والزهد ، وكل ذلك فى خيال حضرى مثقف ينشر سحره على القصيد فيزداد به جمالا وفتنة ·

* * *

لماذا تطور الشعر ؟ :

ولتطور الشعر فى العصر الذهبى أسباب كثيرة ، ودواع متنوعة ، وهى على كثرتها وتنوعها ترجع الى ما أشرنا اليه من التغييرات التى طرات على الحالة الاجتماعية والثقافية والسياسية حينذاك ·

وما دام ذلك هو السببالرئيسى فى تطور الشعر فان مرد كل ما سنورد فى هذا المجال من شرح أو تفصيل راجع اليه وحده أو متعلق بسبب وثيق يصله به ويشده اليه،وقد يلوح على بعض ماسنذكر من أسباب أن لها نوعا من الاستقلال فى الوثبة بالشعر ولكنها عند التحقيق والتأمل ستنتسب الى نوع من التحول الذى تناول الفكر العربى بقيام دولة بنى العباس ·

وسوف نضطر الى تفصيل هذه الاسباب وشرحها غير مكثرين من الاستشهاد لها بما يعضدها من أبيات أو قصائد الا عند الحاجة القصوى حتى لا نخرج عن القصد ·

- ١ -

ان الاتصال الوثيق بين الحياة والشعر ، يجعل من تطور الحياة وتغيرها سببا قويا من أسباب تطور الشعر وتنوع فنونه ، فكثرةالمرئيات وتعدد أنواعها، ونشاط التفكير واختلاف الوانه ؛ وتباين العادات والاخلاق والتقاليد ، كل ذلك يستدعى من الشعر نشاطا جديدا يواجه به هذا الوافد الجديد ·

وليس بمعقول أن يتاح للشعر وهو فى نهجه الأموى أنينهض بتصوير ما جد علىالحياةالعباسية، بل لابد له من أن يتطور فى مسالكه تطورا يلائم ما استحدثته البيئة والمجتمع حينذاك ·

فهذه البيئة الطبيعية فى العراق وفارس وخراسان ومصر وغيرها ، تتطلب ما يناسبها من الشعر الواصف ، ليذيع جمال رياضها وروعة انهارها وجلال قصورها ·

وهذا المجتمع بتقاليده وعاداته يستدعى ما يلائمه من الشعر الذى يعكس على صفحته كل ما يدور فى هذا المجتمع من عادات وتقاليد .

وهذه الثقافة الجديدة التى قبسها العرب من ثقافات الامم الاخرى تحتاج الى لون متطور من الشعر يعبر عنها ، وينشر ما حوت من كنوز فكرية وتأملات وجدانية رائعة .

والشعر العربى لابد له من أن يستجيب الى كل هذا خضوعا لنظرية التطور مع الحياة ونزولا على ما يقتضيه انتقال الفكر من مرحلة الى اخرى وذلك سبب هام من أسباب تطور الشعر العربى ، وظهوره فى مظهر حديث يتفق مع الطابع الحضارى للعصر العباسى ، وقد حمل صاحبنا أبو تمام اوفى نصيب فى هذا المضمار .

- ٢ -

وكان من أسباب تطور الشعر لاستيعاب الحضارة العباسية بشتى الوانها وضروبها تشجيع الخلفاء والأمراء من بنى هاشم للوثبة الشعرية من طور البداوة الى الحضارة ، واحتفالهم بنهجه الجديد وتعلقهم بالشعراء ، ولم ينكر الاوائل منهم الا المذهب الشعوبى وشعر الزندقة ، فأما ما عدا هذين من فنون الشعر فله عندهم منزلة وقبول ، ونحن نرى المأمون يغض الطرف عن دعبل الخزاعى الشاعر الشيعى حين يغمزه فى شعره ، ويسىء الى ذكرى والده هارون الرشيد اساءة بالغة ، فقد هجا دعبل الخزاعى ابراهيم بن المهدى ، فرفع ابراهيم امره الى المأمون ، فقال له المأمون : « لك أسوة بى فقد هجانى واحتملته ، وقال فى :

أيسومنى المأمون خطة عاجز
او ما رأى بالأمس رأس محمد

انى من القوم الذين سيوفهم
قتلت أخاك وشرفتك بمقعد

شادوا بذكرك بعد طول خموله
واستنقذوك من الحضيض الأوهد

فقال ابراهيم : « زادك الله حلما يا أمير المؤمنين » .

- ٣ -

ومن اهم أسباب التطور الشعرى اضطراب الملكة العربية فى هذا المجتمع الذى يضم ألسنة مختلفة وأجناسا متعددة بالاضافة الى الجيل الذى نتج من امتزاج العرب بالموالى ، واتجاه الشعر الى مخاطبة ذوق الجماهير واستثارة مشاعرهم بما يعرفون من وسائل ، وما يحسنون من أساليب ، ولهذا شق على الشعر أن يحتفظ بطابعه العربى الأصيل ، لانه فن منتزع من المجتمع ليخاطب الجمهور بما يعرف من حياته اليومية ، على نحو يفهمه ولا يرتفع كثيرا عما ألف فى محيطه .

- ٤ -

كان للشعر العربى خياله الذى نعرفه له على عهد الأمويين والاسلاميين والجاهليين ، وقد يسرت له ترجمة الآداب أن يعرف منها الخيال الفارسى وما يوشيه من الزينة والزخرف ، وكانت له طريقته التى يقوم عليها « عموده » المعروف ، واذا به يخرج الى نسق مستحدث هيأته الترجمة وتعلقت به الاذواق وبهذا تطور الشعر فى هذا العصر تطورا نجمله فيما يلى :

(أ) خضع للصنعة (الصقل) وآثر الأناة وطول النظر ، وتنكب طريق الارتجال .

(ب) اقتصد أول أمره فى استعمال المحسنات البديعية ، ولكن أبا تمام أغرم بهذا النوع فكانت له مدرسته التى تحث على البديع الحاحا انتهى الى افساد الشعر حين ضعفت الملكة .

(جـ) عرف أخيلة جديدة رقت بها ديباجته :

د . عبد الرحمن عثمان

القصص في أسفار اليهود وتحريفهم له

للدكتور علي عبد الواحد وافي

عرضت أسفار اليهود لتاريخ العالم من يوم نشأته الى قبيل بعثة المسيح . فتكلمت باجمال على خلق السماوات والارض ، وخلق آدم وحواء وتاريخهما في الجنة وبعد هبوطهما منها ، وما حدث لنسلهما بعد ذلك ، وقصة نوح والطوفان وقصة أولاد نوح الثلاث سام وحام ويافث ، وعرضت بشيء من التفصيل لتاريخ نسل سام ، وهم الذين ينتمي اليهم بنو اسرائيل ، وخاصة تاريخ ابراهيم واسحاق ويعقوب او اسرائيل . ثم تناولت بتفصيل كبير تاريخ بني اسرائيل في مختلف مراحل حياتهم في مصر وسيناء وبعد استقرارهم في الارض المقدسة ، وتاريخ من تولى شئونهم الدينية والسياسية من قضاة وملوك واحبار وربانيين ، ومن بعث فيهم من رسل وأنبياء ، وعلاقاتهم بالشعوب الاخرى . وما جرى بينهم وبين هذه الشعوب من احتكاكات واشتباكات وحروب .. وهلم جرا . وقد استغرق هذا القصص أكبر قسم من أسفار العهد القديم وقسما غير يسير من أسفار التلمود نفسها .

وقد عرض القرآن لكثير من القصص التي وردّ ذكرها في هذه الاسفار . غير أن أسفار اليهود قد تناولت كل قصة من هذه القصص في صورة مسلسلة كاملة الاجزاء مترابطة الحوادث كما تفعل كتب التاريخ ، على حين أن القرآن يكتفي في الغالب بذكر مواقف من هذه القصص ، ولا يذكرها للتاريخ في ذاته ، وانما يذكرها على الأخص للعظة والذكرى ، ويذكرها بحسب المناسبات . فقد يذكر موقفا من قصة في سورة ما لمناسبة خاصة ، ثم يذكر موقفا آخر من القصة نفسها في سورة أخرى لمناسبة أخرى ، وموقفا ثالثا من القصة نفسها في سورة ثالثة .. وهكذا . وقد يعرض لعدة مواقف من قصة واحدة في سورة واحدة ويفصل بين كل موقف وآخر بفواصل طويلة أو قصيرة . وقد يكرر الموقف نفسه في عدة سور لتكرر المناسبة ، ولكن في لوحات بيانية مختلفة في صياغتها وألوان مناظرها ومتسقة مع مايكتنفها من قبلها ومن بعدها من آي الذكر الحكيم .

هذا ، وقد انتاب القصص في أسفار اليهود تحريف كبير عن الوضع الصحيح الذي ورد في القرآن . ويبدو تحريفها هذا في مواطن كثيرة يرجع أهمها الى ما يلي :

١ ـ أن الذات العلية تبدو في قصص أسفارهم القديمة على الاخص ، كسفر التكوين ، في صورة مجسمة متصفة بكثير من صفات النقص وغير مختلفة اختلافا كبيرا عن الخلق في طبيعتها ومسلكها على النحو الذي بيناه في مقال سابق .

٢ ـ أن بعض من يذكر لنا القرآن انهم رسل أو أنبياء تذكرهم أسفار العهد القديم على أنهم مجرد آباء قدامى لبني اسرائيل كابراهيم واسحاق ويعقوب أو على أنهم مجرد ملوك كداود وسليمان .

٣ ـ أن أسفارهم تنسب لبعض الأنبياء والرسل أو لبعض من تسميهم آباء قدامى لبني اسرائيل أو ملوكا لدولهم أعمالا قبيحة تتنافى مع وضعهم الديني والاجتماعي ، بل تتعارض مع الخلق الكريم في ذاته ، ولا يتصور صدورها الا من سفلة الناس .

فمن ذلك مثلا ما تقصه توراتهم المزعومة عن ابراهيم حينما هاجر هو وزوجه سارة الى مصر على أثر ما أصاب بلاده من جدب ومجاعة ، اذ يذكر أن ابراهيم قال لزوجه ، وهما في طريقهما الى مصر ، انها امرأة جميلة ، وان المصريين لابد أن يفتتنوا بها ، واذا علموا أنها متزوجة فسيقتلون زوجها لتخلص لهم بعد ذلك ، واتفق معها على أن يتظاهرا بأنها اخته ، حتى تسلم له حياته ، بل يناله حينئذ من المصريين خير كثير . ولما وصلا الى مصر ، ووقع نظر طائفة من كبار رجال الحاشية الملكية على هذه المرأة الجميلة ، وعلموا من ابراهيم أنها ليست متزوجة

وأنها اخته ، وأنهوا أوصافها الى فرعون ، استدعاها الى قصره ، واتخذها من نسائه ، وبالغ في اكرام ابراهيم والحفاوة به والاحسان اليه من أجل ذلك ، ووهب له قطعانا من « الغنم والثيران والحمير وعددا من العبيد والاماء » . ولكن أصيب الملك وحاشيته عقب ذلك بوباء مما تصاب به الجماعة عادة اذا ارتكبت فيهم فاحشة من هذا القبيل . فاستدعى الملك ابراهيم ، وأنبه تأنيبا شديدا لكذبه عليه في قرابة سارة منه ، وما ترتب على كذبه هذا من معاملته لها كاحدى نسائه مع أنها في عصمة رجل آخر ، وما اصابه هو وقومه من جراء ذلك من وباء ، ثم اصدر أوامره بطرده هو وامرأته من بلاده . ولكن تحقق لابراهيم ماكان يبغيه من عافية ومال ، فقد سلمت له حياته ، وسمح له فرعون بأن يحمل معه جميع ما سبق أن وهبه له من أنعام وعبيد واماء (سفر التكوين ، اصحاح ١٢ ، فقرات ١٠-٢٠) . وقد كرر ابراهيم فعلته هذه ، حسب مايزعمه سفر التكوين ، حينما هاجر الى منطقةجيرار وكاد أبو ملك حاكم جيرار يرتكب الاثم مع سارة لولا أن أظهره الله في المنام على حقيقتها وأنها امرأة ابراهيم لا اخته ، فردها الى ابراهيم ، وعاتبه على كذبه ، ونفحه كذلك بهبة من النعاج والثيران والعبيد والاماء (سفر التكوين ، اصحاح ٢٠) . ـ فكأنما كان ابراهيم يتاجر بزوجته هذه متنقلا بها من بلد الى بلد !!

ومن ذلك ايضا ماتقصه توراتهم المزعومة عن لوط وابنتيه ، اذ يذكر أنه لم ينج من أهل قريتي سودوم وجوموره اللتين دمرهما الله تعالى لما كان يرتكبه اهلهما من اتيان الذكران الا لوط وابنتاه . وقد أقام ثلاثتهم عقب ذلك في غار في جبل مرتفع . وحينئذ قالت كبراهما لصغراهما ان أبانا قد أصبح شيخا كبيرا ، وليس في هذا المكان القفر رجال يتصلون بنا على النحو الذي يفعله ذكور الناس مع اناثهم . واذا بقي الامر على هذه الحال فسينقرض نسل أبينا بعد وفاته ووفاتنا . وخير وسيلة في نظري لاتقاء هذه العاقبة أن نسقي أبانا خمرا حتى يفقد وعيه ويتصل بنا فتاتي منه بذرية تخلد نسله . وانفذتا ما اتفقتا عليه . وقضت معه الكبرى الليلة الاولى والصغرى الليلة التالية وواقع لوط كلتيهما وهو في نشوة سكره . فحملتا منه ، وجاءت الاولى بغلام اسمه مؤاب وجاءت الصغرى بغلام كذلك اسمه عمون ، ومن هذين الغلامين تفرع شعبان كبيران هما شعب المؤابيين وشعب العمونيين (سفر التكوين ، اصحاح ١٩ ، فقرات ٣٠ ـ ٣٩) .

ومن ذلك أيضا ما يقصه سفر صموئيل عن داود اذ يذكر أنه كان يمشي في صباح يوم على سطح قصره الملكي ، فوقع بصره في المنزل المجاور له على امرأة مفرطة في الجمال وهي تستحم مجردة من ثيابها ، فشغف بها حبا ، وسأل عنها ، فأخبر أنها زوجه أوريا الحثي أحد الجنود المرسلين في حملة حربية تحت قيادة يؤاب . فبعث داود في طلبها ، فجيء بها اليه ، وبعد أن قضى منها وطره عادت الى منزلها ، ولكنها حملت منه ، وعملت على أن يقف داود على خبر حملها منه . فاستدعى داود زوجها من الجيش ، واخذ يسأله عن حالة الحملة وقائدها .. وما الى ذلك ، ونفحه ببعض الهدايا ، وطلب اليه أن يذهب الى منزله ليستريح هذه الليلة . وكان داود يرمي من وراء ذلك أنيقرب الرجل زوجته ، فينسب حملها اليه ، ولا تعلق بداود أية شبهة . ولكن الرجل أبت عليه شهامته أن ينعم بالراحة في بيته بينما جيش بلاده مشتبك في معركة مع الاعداء . فقضى ليلته نائما مع خدم القصر الملكي . ولما علم داود بذلك استدعاه مرة ثانية وسأله عن سبب احجامه عن الذهاب لبيته ، فاجاب بأن نفسه لم تطاوعه بأن ينام في بيته وجيشه يحارب في خارج بلاده . فطلب اليه أن يبقى يوما آخر ، ودعاه الى الطعام والشراب ، وحرص على أن يسكره حتى يفقد وعيه ويذهب الى زوجه . ولكن أوريا لم يلعب الشراب برأسه الى الحد الذي يفقده رشده ، فقضى ليلته هذه كما قضى ليلته السابقة نائما مع خدم داود في القصر الملكي . ولما ضاق داود به ذرعا ، ولم تفلح معه حيلته ، أمر برجوعه الى الجبهة ، وأرسل الى يؤاب قائد جيشه أن يضع أوريا في أخطر منطقة في ميدان القتال ، وأن يتخلى عنه حتى يقتل. فصدع يؤاب بالامر ، وقتل أوريا فيالميدان. وحينئذ أتيح لداود أن يضم زوجته الى نسائه بعد أن انقضى حدادها على زوجها . ووضعت حملها وهي في عصمة داود . وخفي بذلك على جميع الناس

ما ارتكبه داود من جرائم خسيسة اذ زنى بامرأة متزوجة وعمل على قتل زوجها الشجاع وهو يذود عن حياض بلاده ، مع أنه كانت له زوجات وجوار كثيرات . فأرسل الله اليه ناثان وقص عليه قصة رجلين يملك أحدهما قطعانا كبيرة العدد من الابقار والنعاج ، بينما لا يملك الآخر الا نعجة واحدة . وفي أحد الايام قدم ضيف على الغني ، فمد يده الى نعجة الفقير واغتصبها منه وذبحها لضيفه . فغضب داود من فعلة هذا الغني ، وقال لناثان ان هذا الرجل يستحق الموت . فقال له ناثان انك انت نفسك هذا الرجل . وأخذ يؤنبه ويتوعده بماسيحيق به وباهله من عذاب ونكال . فاعترف داود بذنبه ، واستغفر ربه وتاب اليه ، فغفر له .. الى آخر ماورد في هذا السفر (الاصحاحين ١١ ، ١٢ من السفر الثاني لصموئيل)

***

والقصة على هذا الوضع محض افتراء لا يعقل صدور وقائعها من رجل عادي ذي خلق ، فضلا عن نبي كريم . ومن ثم أخطأ بعض مفسري القرآن خطأ كبيرا اذ فسروا ما جاء في سورة «ص» عن داود والخصمين اللذين اختصما اليه على النحو الذي ورد في سفر صموئيل ، مع أن العبارات التي صيغت بها هذه القصة في القرآن الكريم لاتدل صراحة على شيء من ذلك . ولذلك كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : « من حدث بحديث داود على ماجاء به القصاص جلدته مائة وستين جلدة » ، يقصد بذلك أن من يتحدث هذا الحديث فانه يرتكب جريمة القذف . وحد القذف العادي في الاسلام ثمانين جلدة . ولكن اذا تناول القذف نبيا كريما كان مرتكبه خليقا بأن يضاعف له هذا الحد ضعفين .

***

٤ ـ ان التحريف قد يتناول قصة ما لتبرير وضع اجتماعي أو سياسي ظالم سار عليه بنو اسرائيل في مرحلة ما من مراحل تاريخهم .

فمن ذلك ان قصة نوح مع ابنه التي حدثنا عنها القرآن الكريم اذ يقول : « ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء ، قال لاعاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين » ، قد حرفها سفر التكوين تحريفا كبيرا اذ يذكر ان حاما بن نوح قد رأى أباه وهو سكران مكشوف العورة ، فسخر منه ، فلما افاق نوح من سكره ، وعلم ما كان من ابنه حام ، دعا عليه وعلى ذريته وهم الكنعانيون بان يكونوا عبيدا لعبيد أبناء ولديه الآخرين سام ويافث (فقرات ٢٠ ـ ٢٩ من اصحاح ٩ من سفر التكوين) . ويقصد الذين حرفوا هذه القصة الى هذا الوضع الغريب ـ كما اشرنا الى ذلك في مقالنا السابق ـ أن يبرروا الاوضاع الشاذة الظالمة التي كان يسير عليها بنو اسرائيل حيال الكنعانيين اذ يقتلون رجالهم ويسبون نساءهم واطفالهم ويتخذونهم رقيقا ، زاعمين أنهم بذلك يحققون دعوة نوح عليهم ، ويرجعونهم الى الوضع الذي كتب عليهم في الأزل أن يكونوا عليه .

والى تحريفاتهم وأكاذيبهم هذه يشير القرآن الكريم اذ يقول : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ، ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم ممايكسبون» ، واذ يقول : « والله أعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ، من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه .. » . وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في يد عمر ورقة من التوراة المزعومة فامره بالقائها والا يضيع وقته في قراءة ما بها من كذب وتحريف وقال : « الم آتكم بها بيضاء نقية ، والله لو أن موسى كان حيا ما وسعه الا اتباعي » ، يقصد ان القرآن قد جاء بما في التوراة الصحيحة فأحياها بيضاء نقية ، وأن موسى لو بعث الآن لتبرأ من توراتهم واتبع قرآن محمد .

دكتور علي عبد الواحد وافي

الاسلام ومجتمعات الناس

للأستاذ محمود الشرقاوى

فى كتاب صدر بالانجليزية وكتبت عنه فصول بالعربية اخيرا سؤال يجب أن يدور فى ذهن كل من يتصدر للبحث او للحديث عن الفكر الدينى ، وبخاصة اولئك الذين يعتقدون انه ما دامت الامور فى ظاهرها ، او فى تقديرهم ، تسير فى الخط الذى رسموه ، فكل شىء بعد ذلك : « على ما يرام » . غير ناظرين لأكثر من حياتهم الخاصة أو ما يحيط بهم من قريب ، غافلين عن سير الحياة وتطور الزمن ، وقهر الحوادث والظروف .

الكتاب الفه رجل لرايه وزن فى هذا الموضوع ، هو الاستاذ «مورو بريجر» استاذ علم الاجتماع فى جامعة برنستون الامريكية والمشرف على برنامج دراسات الشرق الأوسط فى هذه الجامعة .

والسؤال الذى يساله ويحاول ان يجيب عنه نجده فى هذه الكلمات كما ترجمها الاستاذ العقاد : هل الاسلام عقيدة دينية دنيوية او هو كغيره من الديانات التى تنفصل فيها عقائد الايمان عن شئون الحياة ومزاولات المعيشة ، ولا سيما شئون الحكم والسياسة ... ؟

ثم يعيد هذا السؤال فى صيغة اخرى فيقول :

هل احكام التشريع فى القرآن مسالة نظام وادارة حكومية .. ؟ او هى مسالة اخلاق وسلوك دينى يستحق به المسلم حسن الجزاء فى الآخرة ... ؟

ويتقدم الاستاذ المؤلف خطوة اخرى فيقول :

ــ ان الصلة المكينة بين الاسلام والمجتمع العربى نشات ، كما راينا ، منذ قام محمد ــ صلوات الله عليه ــ بخلق دولة تنتظم العقائد الدينية والمعاملات التى علمها العرب ، وقد شمل الاسلام على الدوام كل جوانب الحياة الاجتماعية باعتباره قسطاس اخلاق وآداب . ولكنه لم « ينجح قط » فى تقرير شريعة متناسقة من العلاقات بين الناس فى مجتمعات المسلمين المختلفة

وينسب الاستاذ بيرجر الى المستشرق الكبير يوسف شاخت رايا عجيبا جريئا هو ان :

« النبى لم يحاول تبديل العرف القانونى عند العرب ، بل اراد ان يعلم الناس كيف يعملون فى الحياة لكى يظفروا برجحان الكفة فى حساب الآخرة » !

وبذلك نقض شاخت ما اجمع عليه علماء الشريعة من تقسيم الاسلام الى : « عقيدة » تتضمن الواجبات وتكاليف العبادة ، و « شريعة » تتضمن قوانين المجتمع التى يجب ان يلتزمها المسلمون فى معاملات حياتهم ، حيث جعل شاخت هذه القواعد الشرعية التى تضمنتها كتب الفقه غير ملزمة للدولة ، بل الالتزام فيها واقع على الفرد نفسه : « لكى يظفر برجحان الكفة فى حساب الآخرة » اى لكى ينال ثواب الله .

فالاسلام اذن ، عنده ، مجموعة من المثاليات والدعوات مثله مثل المسيحية ، يترك « ما لقيصر لقيصر وما لله لله » ، كما هى كلمة السيد المسيح . ولكن ليس هذا موضوعنا اليوم .

* * *

ما الذى جعل استاذا له قيمة « مورو بيرجر » يقول : ان الاسلام « لم ينجح قط » فى تقرير شريعة متناسقة ؟

على اى الاسباب والمقدمات بنى حكمه هذا ..؟ يشير بيرجر الى : « مجتمعات المسلمين المختلفة »

ولعله بهذه الاشارة يريد ان يقول ان المجتمعات المختلفة لابد لها من شرائع مختلفة ولا يمكن ان تحكم بقانون واحد او شريعة واحدة ولو كانت منزلة من السماء .

وهنا نعود الى « الشريعة » نفسها لنعرف منها كيف تستطيع ان توفق بين احوال المجتمعات المختلفة وتوحد بينها فى قوانين متحدة مختلفة فى وقت واحد : متحدة لأن مصدرها واحد : هو كلمة الله وآياته والصحيح من أحاديث نبيه وعمله، ومختلفة لانها تراعى الأحوال المختلفة المتباينة لمجتمعات الناس وأزمانهم وثقافاتهم وظروف حياتهم .

وقبل ان اناقش هذه الدعوى التى اثارها استاذ جامعة برنستون اريد ان أقول ان هذا الكلام نفسه تردد فى بلاد اسلامية كثيرة فى

عشرينيات هذا القرن بخاصة ، بعد انسلاخ تركيا الكمالية من شريعة الاسلام ، وهو ما زال يتردد فعلا الآن فى بعض البلاد الاسلامية

عندما صدر كتابى : « تقويم الفكر الدينى » كتب ناقد متزن فى « الجمهورية » يقول ان قضية الدين وتحكيمه فى شرائع الناس وتنظيم مجتمعهم من القضايا التى « فصل فيها الزمن » من غير رجعة . اى ان الناس يجب ان يحكموا انفسهم بقوانين يضعونها لأنفسهم

كان هذا حديث ناقد لا يعرف بالتهور ولا الشطط ، فكيف باستاذ فى جامعة امريكية .؟

ومن هنا كان اهتمامى بمناقشة هذا الراى فى « الرسالة » .

قد يقال هذا الراى عن غير قصد سيىء . ولكنه ، على اهون الفروض ، فهم « سيىء لشريعة الاسلام ، من اكبر اسبابه بعض فقهاء الاسلام فى عصور الظلام ومتابعيهم فى هذا الزمان .

الشريعة مطاوعة :

لو ان الشريعة ، كما امر بها الله ، كانت جامدة تتضمن احكاما لا تتغير ولا تخضع لمؤثرات البيئة والزمن والعرف ، كان لنا ، فى هذه الحالة ، ان نقول انها غير صالحة لجميع الناس فى جميع الأزمان . ولكن هذه « الشريعة » الجامدة التى لا تتغير ولا تخضع ولا تساير هى « شريعة » بعض الفقهاء المتأخرين وليست شريعة الاسلام. فقد ترك الاسلام لاهله تنظيم حياتهم ومجتمعهم كما تقضى به مصالح هذه الحياة وهذا المجتمع . ولم يأمر بأحكام قاطعة جازمة الا فى حالات قليلة من العسير ان تتأثر بالزمن او اعراف الناس المختلفة . وحتى هذه الاحكام القاطعة ــ او التى يظن بعض الفقهاء خطأ انها كذلك ــ هذه الاحكام جعل الاسلام لمجتمع الناس ، اى للدولة ، حق توقيفها او الخروج عليها رعاية « لمصلحة الناس » وهو ما يعرف عند علماء الشريعة واصولها : « بالمصالح المرسلة » و « بالاستحسان » .

يتضمن القرآن الكريم الذى هو المصدر الأول للتشريع : « ٦٢٣٦ » آية ، ليس فيها الا نحو مائتين من الآيات الخاصة بالأحكام ، اى بالشريعة. « وحتى بعض ما عده الفقهاء من آيات الاحكام لا يظهر انها كذلك . وليس عدها من آيات الأحكام الا تغاليا فى الاستنتاج لا يساعد عليه سياق الآيات »

ويقول الامام الشافعى عن بعض هذه الأحكام الشرعية التى تنظم مجتمع الناس انه : « ما ينوب العباد من فروع الفرائض ، وما يخص من الأحكام وغيرها مما ليس فيه نص كتاب ، ولا فى اكثره نص سنة . وان كانت فى شيء من ذلك سنة ، فانما هى من اخبار الخاصة لا من اخبار العامة ، وما كان يحتمل التأويل ويستدرك قياسا» .

واكثر الأحكام الشرعية من هذا النوع الذى يخضع للاجتهاد ، والراى ، ويكون مدار الحكم فيه مصالح الناس واستقامة حياتهم .

ونجد لابن القيم توضيحا وتفصيلا منيرا لهذا الاجمال الذى وجدناه فى كلمة الامام الشافعى .

يقول ابن القيم :

« الاحكام نوعان : نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها ، لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة ولا اجتهاد الائمة ، كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم ، ونحو ذلك . فهذا لا يتطرق اليه تغيير ولا اجتهاد مخالف ما وضع عليه »

والنوع الثانى : ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا ... فان الشارع ينوع فيها بحسب المصلحة » . وقد ذكر ابن القيم امثلة كثيرة لذلك . ثم قال :

« وهذا باب واسع اشتبه على كثير من الناس »

ثم ننتقل الى عالم آخر : هو ابن العربى فنجده يقول :

« العادة دليل اصولى تثبت عليه الاحكام ، ويربط به الحلال والحرام »

والى عالم آخر : هو ابن نجيم المصرى ، فنجده يقول :

« والاحكام تبنى على العرف ، فيعتبر فى كل عصر عرف اهله » .

❋ ❋ ❋

ويحسن بنا ان نذكر ما هو « العرف » .. ؟ وما هى « العادة » .. ؟ عند العلماء . ونكتفى بتعريف لهما ذكره الجرجانى هو : « العرف

ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول ، وتلقته الطبائع بالقبول . وهو حجة . وكذا العادة ، وهى ما استمر الناس عليه على حكم العقول وعادوا اليه مرة بعد أخرى »

فعرف المجتمع وعادات الناس حجة فى التشريع ، كما يصرح هؤلاء العلماء . وقد استدلوا على ذلك بحديث : « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن »

ومؤرخو الامام ابى حنيفة يقولون فى صفته انه كان : « شديد الاتباع لما كان عليه الناس فى بلده » وكان محمد بن الحسن ، من مؤسسى مذهبه وقد تولى القضاء للرشيد ، يذهب الى الصباغ يسألهم عن عرفهم ومعاملاتهم ليستنير بها فى أحكامه وقضاياه وفتاواه .

وما دمنا نقول ان أعراف الناس تتبدل وتختلف فى الأمكنة والأزمنة الكثيرة ، عرفنا ان اكثر هذه الأحكام الشرعية تابعة لهذه الأعراف دائرة مطاوعة لها ، فقد جعلت الشريعة للناس ، وليس العكس .

مثل من الحياة :

والآن نستطيع ان نضرب مثلا من واقع الحياة.

فمن الأمور التى اجازها العلماء نزولا على عرف الناس وتعاملهم – وان كانت على خلاف الأصل – بيع « الاستصناع » وهو أن يوصى المشترى صانعا ليصنع له شيئا . قال العلماء ان ذلك فى الاصل غير جائز لأنه بيع شىء غير موجود، وقد نهى عن بيع المعدوم . ولكن الناس فى بلاد كثيرة وازمنة مختلفة تعارفوا على ذلك فأجازه العلماء حتى قال فى ذلك الامام السرخسى – من ائمة علماء الحنفية – ان القياس لا يجيزه : « ولكنا تركنا القياس لتعامل الناس . وتعامل الناس ، من غير نكير ، أصل من الاصول كبير »

وقد اصبحت طريقة « الاستصناع » هذه اساسا من الأسس الهامة للتجارة والصناعة فى العالم كله . فالتاجر او الوسيط يوصى المصنع بصناعة جملة كبيرة من بضاعته أو صناعته حسب « مواصفات » خاصة يختارها ويوصى بها . وبشروط خاصة يتم التعاقد عليها .

والحكومات توصى كثيرا من الشركات والمصانع بصنع أنواع من الاسلحة او المصنوعات الضرورية للدولة وللافراد ، فتصنعها هذه الشركات والمصانع وتقدمها للحكومات وللجيوش حسب المواصفات التى اتفق عليها . واكثر ما تنتج المصانع الآن وما تتعاقد عليه الحكومات والهيئات معها يتم عن هذا الطريق . ولا يخفى اثر ذلك فى الحروب والتجارة والمال والمعاملات الجارية فى العالم كله .

فاذا عرفنا ذلك ادركنا ما فى نزول الشريعة على اعراف الناس ومعاملاتهم واقرارها ذلك فى اصولها ، ادركنا مافى ذلك من التيسير على الناس ومراعاة خيرهم وصلاح حياتهم .

ومثل ذلك بيع الفاكهة على الشجر جملة واحدة ، مانضج منها ومالم يتم نضجه .

المطاوعة واجبة :

وقد رأينا فيما نقلنا من آراء المشترعين والفقهاء انهم قالوا « بالجواز » أو « الاباحة » او التسليم فى ان تدور الاحكام الشرعية حيث تدور مصالح الناس . ولكنا نجد بعد ذلك فيلسوفا عظيما وفقيها عظيما يقول بأن ذلك «واجب» .

يقول الفيلسوف المشرع « ابن سينا » فى حديثه عن الشريعة : « ويجب » ان يفوض كثير من الاحوال ، خصوصا فى المعاملات ، الى الاجتهاد . فان للاوقات احكاما لا يمكن أن تضبط »

فابن سينا هنا يقول « بوجوب » ترك الكثير من الوضع والتنظيم القانونى لاحوال الناس وشئون مجتمعهم لاجتهاد المشترعين . ويذكر تعليلا لذلك ان الحياة تسير وتتطور بحيث تجد فيها امور لا يمكن ان تحصر لم تتناولها الشريعة ولم يرد فيها نص ولم تكن موجودة ولا متصورة للفقهاء فى العصور السوابق . وأحكام الشريعة دائرة مع مصالح الناس ، كما قال الشاطبى فى هذه الكلمة الحكيمة الجازمة الصادقة : (انا وجدنا الشارع قاصدا لصالح العباد ، والاحكام العادية تدور معه حيثما دار . فترى الشىء الواحد يمنع فى حال لا تكون فيه مصلحة ، فاذا كان فيه مصلحة جاز)

لو اننا فهمنا شريعة الاسلام هذا الفهم المستقيم الصحيح ، لما وجدنا من يقول مقالة الاستاذ « مورو » : ان الاسلام « لم ينجح قط » فى تقرير شريعة متناسقة ولا من يقول مقالة ناقد « الجمهورية » : ان قضية الدين وتحكيمه فى شرائع الناس وتنظيمه مجتمعهم قضية قد فصل فيها الزمن من غير رجعة ، ولوجدنا أن شريعة الاسلام تصلح صلاحية تامة لأن تكون مصدرا رئيسيا لتنظيم مجتمعات الناس فى الحياة المعاصرة. لو ادرك « بعض القوم » ذلك وآمنوا به أو سلموا .

محمود الشرقاوى

حنين الى سوريا

للأستاذ محمد رشاد رويحه

بلادى أحبك حب البصر   وحب الصحارى ضياء القمر
أحبك حب السماع الرهيب   لزفرة ناى ونجوى وتر
وغنوة سار وشدو هزار   وعزف السواقى على منحدر
أحبك حب المروج الندى   أحبك حب الفراش الزهر
وحب العطاش رذاذ النمير   اذا أرسلته خيوط المطر
أحبك حب السعيد الحياة   وحب المشيب سواد الشعر
وحب الرياض دبيب الربيع   وحب الخيال بريق الصور
وحب صغار المها للسحر   وحب الطيور غصون الشجر
وحبا هداه به الشعر يحيا   ويحيا البيان فابقيه سر
بلادى تراك تناسيت شيخا   يعادى عليك وفيك الغير
تحدى لاجلك لهو الشباب   وهاهو ذا يتحدى الكبر
وكافح عنك بكلتا يديه   وأسنانه وبقايا الظفر
واعطاك فى الحب ماضى الحياة   وهاهو يعطيك باقى العمر
تراك نسيت هواه القديم   وقلت خبا حبه أو فتر
والا لما كان عنى تخلى   وهاجر منى زمان الخطر
تنكر لا والذى أسبغ الـ   جمال عليك وأزكى الثمر
وزخرف فيك فساح الجنان   وزين حورامها بالحور
وميز فتنتها بالوقار   وحلى أنوثتها بالخفر
ودل عليها بنفح العبير   اذا داعبته كمها فانحسر
ورف النسيم على شعرها   وماج فبعثره فانتشر
تغير لا والليالى الغوالى   وسحر الحديث وأنس السمر
وميد القدود وحمر الخدود   وثغر برود عنود أشر
تقاعس لا وتضال الرجال   وعهد يردده كل حر
ومن جمعته بهم فى المصير   العقيدة والعمل المستمر
فماتوا وعاشا الى حينه   رهينا بميعاده المنتظر
تخير فاختار أجدى النضال   فهاجر لكنه ما هجر
وما زال برا أمينا وفيا   ولم يستكن أبدا أو يفر
وان لم يطق جلد الشيخ ما   أطاقت شبيبته من أمر
ولو عذبوه فمات سجينا   فأجدى لهان عليه الخطر
ولكن لماذا يموت الشهيد   بلا أمل ميتة المنتحر
وخير الجنود حكيم شجاع   يقاتل مستبسلا فى حذر

ولا خير فى الأرض المستميت   ولا فى الجبان طواه الخور
فهذا تمكن منه العدو   بيسر فمات وهذا اندحر
ولست أخاف ولا أتقى   بأخذى بالحزم حكم القدر
ولكننى عاقل ناقتى   فمتكل بالهدى مؤتمر
بلادى وانت عروس خيالى   لعينيك حريتى ادخر
فخير من السيف فى غمده   عصا ومن الليث فى القيد هر
وانى لصوتك حيث انطلقت   وأيان قر بى المستقر
تداعب أمجادك الخالدات   خيالى فيطغى على البطر
وتصغر فى عينى الكبريات   ويسهل صعب ويدنو وطر
وتهمس أنسامك الحالمات   بأذنى فتلهمنى المبتكر
وتوقظ فكرى وتصقل شعرى   وتملأه بالمعانى الغرر
وبعكس جناتك الناعمات   صدى ذكرياتى فتحلو الذكر
وأسكر منها بمثل الرحيق   وأغرق فى نشوة المختمر
واسرح مفترشا مرجها   كأنى على فرش فى سرر
حراج الفرلق هل من معاد   اليك وهل من سنات أخر
وياجبل الشوح هل من مشوق   الى وهل فيك من مدكر
بلادى واقسم أنى أبيت   وانى وفيت وانى الأبر
ساصلى عدوك نار اللظى   وأرفع منك منارا أغر
بلاد المروءات والتضحيات   أيكفى العروبة هذا القدر
مجازر يحمر جلد الوحوش   لهن ويسود وجه البشر
وروح فداء وسيل دماء   يجود الجميع به منهمر
أثاث البلاد وذكرانها   وكل الفئات وكل الزمر
تكافح حزبا بغيضا دعيا   ربيب شعوبية محتقر
أراق الدماء وجافى الحياء   ولم يرع حدا ولم يزدجر
تسلل فى الجيش حتى استطال   ولما اطمانوا اليه غدر
وكم خارج كان من قبله   أشد عتيا عفا واندثر
بلادى خطبت التى مهرها   سواك على بعضه ما اقتدر
ركبت اليها متون السحاب   فشق الطريق وطال السفر
وعزت على الركب ماستنفذته   دما ودموعا ومرا وحر
ولكنك الكفؤ فاستجمعى   قواك فدونك مرمى حجر

محمد رشاد رويحه

لمحات من قضايا الناس

للأستاذ أنور حجازى

استطرادا لما بدأنا من أن القاضى الجنائى لا يمارس القضاء بين الناس على نحو يقنع فيه بأعمال النص القانونى وتطبيقه فحسب ، بل ان عليه فضلا عن ذلك ، وجوب ممارسة قضائه منتهجا نهج المعلم والمربى ،والمرشد والموجه ، والطبيب الاجتماعى الذى يعالج مرضى النفوس والذين اصابتهم علة الانحراف والتجنى على المجريات الصحيحة للامور .

ويستوى مع القاضى فى هذا المجال وكيل النائب العام ، الذى يؤهل ليكون قاضيا ، والذى فهم عنه عامة الناس خطأ ـ وخاصة فيما مضى ـ أن وظيفته تقتصر على مجرد الاتهام واثبات التهمة والمجاهدة فى سبيل الصاقها وتأكيدها قبل المتهمين .

وهذا الذى فهمه بعض الناس بعيد كل البعدعن وظيفة وكيل النائب العام التى تطوى فضلا عن الاتهام ، المطالبة احيانا ببراءة المتهم ان اخطأ القاضى فى تطبيق القانون وكان من مقتضى تطبيق القانون تطبيقا صحيحا تبرئة أى متهم ، كما ان وكيل النائب العام يقف أحيانا فى قاعة محكمة الجنايات ويفوض الرأى للمحكمة اذا ماآمن مطمئنا ان موقف المتهم أو المتهمين يستلزم الحكم بالبراءة .

كما ان النيابة تقدم المتهم فى احيان أخرى الى محكمة الجنايات وتطلب منها اعمال نص معين من مقتضاه تبرئة المتهم وذلك كما فى حالة المتهم باعطاء رشوة ثم أخبر السلطات العامة بالجريمة أو اعترف بها أثناء التحقيق وأثناء المحاكمة ، اذ تنص المادة ١٠٧ مكررا :

«يعاقب الراشى والوسيط بالعقوبة المقررة للمرتشى ، الاشغال الشاقة المؤبدة ، ومع ذلك يعفى الراشى والوسيط من العقوبة اذا أخبر السلطات بالجريمة أو اعترف بها » .

فتقدم النيابة العامة الراشى او الوسيط المعترف الى محكمة الجنايات وتطلب فى ذات الوقت اعمال نص المادة ١٠٧ مكررا عقوبات أى تطلب الحكم ببراءة المتهم المعترف .

وليس ذلك هو ماهدفنا اليه بهذا التقديم ، وانما قصدنا الى أن وكيل النائب العام يستوى والقاضى تماما حين يصدر قرارات بحفظ الدعاوى الجنائية ـ كما كان ـ أو قرارات بعدم وجود وجه لاقامة الدعوى الجنائية ـ كما هو الحال اليوم ـ اذ أن تلك القرارات تستوى تماما مع أحكام القاضى بتبرئة المتهمين .

وقرارات وكيل النائب العام هذه يصدرها اذا ارتأى أن الدلائل فى الدعوى المطروحة عليه غير كافية ، أو أن الاتهام كيدى وغير صحيح أو انه لا جريمة فى الواقعة التى تنطوى عليها الأوراق او أن الواقعة عديمة الاهمية وليس من صالح المجتمع استكمال السير فى الاجراءات حتى اتمام المحاكمة .

واستشهد فى هذا الصدد الاخير بقضيتين فى كلتيهما غرابة وطرافة وفى كلتيهما لمسات اجتماعية وتهذيبية وتوجيهية :ـ

القضية الأولى : كنت أعمل وكيلا للنائب العام فى احدى نيابات الصعيد منذ سبعة عشر عاما مضت حين قامت فتنة بين طلاب المدرسة الثانوية أثارها المتخلفون عن دفع المصروفات المدرسية المرهقة لهم ، كما أسهم معهم فيها الطلاب الساخطون على طريقة معقدة للامتحانات ، ولما تكامل عددهم تصايحوا هاتفين وزحفوا فى جمع كبير يلقون بالحجارة حاملين العصى ، وكان من جراء اعمال الحجارة والعصى أن تحطم كثيرمن زجاج المدرسة ، ثم اتبعوا ذلك بمحاولة لاقتحامحجرة ناظر معهدهم ليطلعونه على مايطلبون ، ولكن فى صورة تجمهر ثائر مما اضطر أستاذ الرياضة البدنية أن يتصدى لجمعهم ومنع عليهم هذا لاقتحام حجرة ناظر معهدهم ليطلعوه على مايطلبون ، زعيمهم فى معركة أصيب فيها التلميذ والاستاذ على السواء .

وتتابعت اجراءات التحقيق الذى انتهى بتصرفات حازمة صارمة انزلت الرهبة فى قلوب الطلاب الصغار ردعا وتأديبا ، وقد أثمرت الصرامة وأينع الحزم فبلغ الندم بالطلاب وذويهم حدا كبيرا ، واجتمع أولياء أمورهم وسعوا الى مرضاة المربين وألحفوا فى الاعتذار ، فسعى المربون يتقدمهم مدير الاقليم يستشفعون للتلاميذ مسجلين فى التحقيقات نزولهم عما حاق بهم وقبول اعتذار الطلاب اليهم وأولياء أمورهم ، لانهم أشفقوا أن تصير بهم اجراءات التحقيقات الى محاكمة ثم الى عقاب .

والتقت النيابة العامة بتلك الشفاعة ، وبعد ان سجل التلاميذ اعتذارهم فى التحقيقات لناظر معهدهم ومدرسيه رأت النيابة العامة ان تساير النهج القويم ابقاء على مستقبل شباب غض تعثر وكبا ، واستشعر الوزر ومداه فندم أشد الندم ، كما رأوا ماحاق بآبائهم وأمهاتهم من آلام وضيق فأيقنوا انهم أتوا أمرا ادا يعرضهم لأسوء عاقبة وأسوء مصير

وقد أيقنت أن الزجر والتخويف فعلا الأثر المرتجى فى نفوس طلاب اليوم وقادة الغد ، اذ بلغ بهم الندم حد الشعور بالوزر والاحساس بفداحة التصرف السىء ، وكان ذلك هو قصد النيابة العامة وغايتها من الحبس الاحتياطى ، فاخليت سبيل الطلاب جميعا ، وبعثت الى السيد النائب العام بمذكرة مستفيضة عن طريق رئاسة النيابة ضمنتها جميع ظروف الواقعة وملابساتها والاعتبارات التى احاطت بها والاسانيد التى تظاهر طلبى حفظ الأوراق قطعيا ، لعدم الأهمية ، وقد جاء فيها :

« ومن حيث ان ما صدر عن هؤلاء الطلاب ، انما صدر عن أبناء لم يكتمل لديهم الادراك بعد ، نتيجة مظنة خاطئة لما نشرته بعض الصحف خاصا بالامتحان » .

ومن حيث ان ما وقع منهم كان مرده تحكم راس الجماعة الغاضبة فى الموقف ، فلم يحسنوا التعبير والافصاح ، بل عبروا عن ذلك بالقاء حجارة أتلفت زجاج معهدهم وبعض منقولاته .

ومن حيث انه فيما يتصل بالاعتداء على الاستاذ المربى .. فهو وحده جرم لايحتمل اشفاقا ، الا ان الجرح الجسيم براس الطالب الصغير ، وندمه واعتذاره وقبول الاعتذار يبيح لنا تسوية بين الاساءتين .

ومن حيث ان المربى وهو القدوه الحسنة وفى مرتبة العافين عن الناس ، فهلا يعفو عن تلميذ له ركب رأسه وأفلت منه الزمام ، فزل ومن ثم ندم وكفر وتاب وأناب ، واستجاب النائب العام لهذا الراى وحفظت التحقيقات ، وأقامت المدرسة حفلا رائعا تجلت فيه مظاهر الأبوة الحانية ممثلة فى ناظر المعهد والمربين ، والعرفان لهم بالجميل مقرونا بالتجلة والطاعة والاكبار ممثلة فى الطلاب والتلاميذ .

اما القضية الثانية : فانها لا تتصل بطلاب علم أو ناشئين بل اتصلت برجلين بلغا مراتب الرجال عمرا وفى حساب السنين والأيام ، وبلغا من الثقافة الفنية الجامعية ما جعلهما يشغلان مكانين هامين فى احدى عواصم الصعيد منذ ثمانية عشر عاما . واتصلت بينهما أسباب الألفة حدا اقتضى التلازم والمؤاكلة والمشاربة . وقد نشأ فى وسط اباح لهما مقارعة الخمر وأن يفرطا فى شربها .

وفى ذات يوم أفرطا فى الشراب ، واشتد الجدل فيما بينهما فتبادلا السباب حدا انتهى بهما الأمر الى ديوان الشرطة التى استجوبت كلا منهما فأصرا على تبادل الاتهام ، وبعد الانتهاء من تحرير محضر جمع الاستدلالات هذا أصر كل منهما على رفض كل محاولة للتوفيق فيما بينهما ، وكان اصرارهما فى عناد حدا حمل الشرطة تعطى الأوراق رقم جنحة على غير ما يسير عليه العمل ، وعلى غير ما اقتضاه منشور النائب العام .

ولما عرضت على الأوراق أذهلتنى المفاجأة اذ خالفت الشرطة ماجرى عليه العمل ، وأن يحدث ذلك بين صديقين بلغا مدارك العلم الجامعى فى فن يقتضى الذكاء والفطنة وحسن الادراك ، وعاودت المحاولة للتوفيق فيما بينهما فاعرض كل منهما ونأى عن صاحبه وأصرا على ان يبلغ الأمر مداه من محاكمة وتوقيع جزاء .

وارتأيت غير ما رأيا وحفظت الأوراق قطعا لعدم الاهمية، مساندا نظرى على النسق التالى : —

« ومن حيث ان مثل هذا القول غير المباح ان اقتضته غضبة طارئة نظر اليه عند التقدير نظرة الاغضاء تمشيا مع التيسير والمعقول وسدا لسبيل جارف من تبادل الكيد .

ومن حيث انه فيما نحن بصدده ليست الغضبة الطارئة وحدها هى التى قادت الى مثل هذا القول السىء ولكنه الوعى المنقوص قاد المتهم أو قاد المتهم والمجنى عليه الى الوقوع فيه .

ومن حيث انه لكل ذلك ، ولما بين المتخاصمين من ألفة ومودة كانتا مضرب المثل وحديث الناس حسبما نطقت الأوراق ، فانه لا مندوحة من النظر الى الامر نظرة التهوين من شأنه واطراحه بعيدا عن ساحة العدالة تمهيدا لصفاء مأمول » .

انور حجازى

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

الرواية الأم .. جاوزت الخمسين

استرعى انتباهي في أنباء الأدب بالصحف نبأ يقول ان لجنة القصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب أوصت باقامة مهرجان دولي للقصة العربية في عام ١٩٦٤ بمناسبة مرور خمسين عاما على صدور قصة زينب لمحمد حسين هيكل . وظاهر أن هذه التوصيةمبنية على أساس أن القصة صدرت١٩١٤.

وكنت قد قرأت في كتاب فجر القصة المصرية للاستاذ يحيى حقي ان قصـــة زينب ظهرت سنة ١٩١٤ واخيرا كنت اقلب في مجموعة مجلة « البيان » التي كان يصدرها عبد الرحمن البرقوقي في تلك الآونة ، قرأيت في عدد من أعداد سنة ١٩١٢ كلمة بعنوان « زينب » يقول فيها المحرر :

« لا نرى في عالم الكتابة في هذا البلد نقصـــا اعيب ولا عابا افضـــح من خلونا من الكتـــاب الروائيين » .

وعلل الكاتب ذلك بقلة الملاحظة لدى الكتاب ، ثم دعا الى الكتابة الروائية قائلا :

« ونحن نريد كتابا روائيين يأخذون من حالتنا الحاضرة وأدوائنا وعللنا ومبدأ المحافظة على القديم المتاصل في نفوس شيوخنا وبعض شبابنا والحال التي كان عليها آباؤنا وصالحة عاداتهم وفاسدتها موضوعات يصوغونها في أسلوب روائي على مبدأ « الريالزم » ولا ضرار في وضع روايات خيالية يرمي كتابها الى مبدأ سام أو فكرة رشيدة يهذبون بهـا العواطف ويقومون بها أود الاخلاق فليس مبـدأ « الرومانتزم » في فن وضع الروايات باقل فائدة من الروايات القائمة على الحقائق . نقول ذلك وفي يدنا رواية صالحة ، هي بدء عهد جديد في عـالم الكتـــابة نستقبله بالغبطة والروح ، تلكم رواية (زينب) وضعها صاحبها يصف فيها حال الريفيين في طهرهم وعفافهم وسلامة قلوبهم وشريف حبهـم وجمود كبارهم وتقوى كهولهم وضمنها مبادىء له عصرية ليس فيها الا الرشيد القويم ، متبعا في ذلك مذهب ديكنز وبلزاك وتكرى . ذلكم محمد حسين هيكل ... »

ويشيد محرر البيان بفعل المؤلف محمد حسين هيكل من حيث أنه أنكر نفسه فلم يذكر اسمه على الرواية ، اذ يرى أن هذا عمل وطني مقرون بانكار الذات .

وتاريخ العدد الذي نشر فيه هذا المقال (سـنة ١٩١٢) يقطع بان الطبعة الأولى من قصـــة زينب صدرت اما في خلال سنة ١٩١٢ أو قبلها ، وان كان يبدو أن المقال كتب على أثر صدورها تحية لها برغم اغفال اسمه عليها ..

وأضيف الى ذلك ماكتبه الاستاذ محمود تيمور في مجموعته القصصية « الشيخ سيد العبيط » التي ظهرت سنة ١٩٢٥ ، وهو قوله عن رواية «زينب» :

« لا أذكر متى ظهرت هذه القصة بالتحقيق وربما كان ذلك حوالي سنة ١٩١٢ والنسخة مع الأسف خالية من تاريخ الطبع » .

وفي مقال « البيان » دلالات أخرى غير تاريـخ صدور باكورة الانتاج القصصي في حياتنا الادبية الحديثة . فيه الشعور بالنقص في عـالم الكتابة لخلوه من القصص ، مع الشعور بالحاجة الى هـذا العنصر في الادب كي يؤدي رسـالته في خدمة المجتمع .

واذا كانت الرواية « الام » تدل على وعي كامل بمقتضيات الفن القصصي الحديثة في الانتاج ، فان تعليق مجلة البيان الادبية عليهـــا يدل على وعي بمسائل الفنون الوافدة ، ففي هـذا التعليق دعوة مبكرة الى الواقعية (الريالزم) وكلمة « الواقعية » لم تكن قد أطلقت في لغتنا العربية بعد على الاتجاه في الادب ، بل كان يسمى « مذهب الحقائق » ثم كان واضعها الاول بعـد ذلك بسنوات هو كاتب الرواية الام .. محمـد حسين هيكل ، وان كان قد اقترحها اولا للدلالةعلى الواقعية الفلسفية ، ثم انتقل استعمالها من الفلسفة الى مجال الادب .

ومحرر « البيان » لا يرى الفائدة مقصورة على الروايات الواقعية « القائمة على الحقائق » بل يرى أن الرومانسية « الرومانتزم » لا تقل فائدة عنها . وبلباقة ووعي لم يضع « زينب » في أي من المذهبين فهي وان كانت تنهـج في الوصف وغيره منهـج الواقعية الا أن اتجاهها العام رومانسي ، وقد كانت الرومانسية هي المتسلطة في الروايات المترجمة الى العربية .

اما مسالة « انكار الذات » فى اخفاء اسم المؤلف فاننا نأخذها على أنهـــا مجرد تحية ، فلا علاقة بين اسم المؤلف ــ مكتوبا او مهملا ــ وبين انكار الذات فى سبيل الصالح العام ٠

ويرى يحيى حقى أن مؤلف زينب كتم اســـمه تجنبا للحظر الآتى من احتفائه بعاطفة الحب والتغنى بها ، ولكننا نرى قبل ذلك كاتبا أزهريا معمما ، وهو المنفلوطى ، يكتب عن الحب ويصـــور المآسى الناجمة من زواج المحب بغير حبيبه ، وهى القضية الاساسية فى رواية زينب ٠

على أن الاستاذ يحيى حقى يشير بعد ذلك الى امر هام يصلح أن يكون هو الباعث الحقيقى لاحجـــام هيكل عن كتابة اسمه على الرواية ، اذ يعتقد أن هيكل خجل من ألا يصدق بعض القراء خياله ويصر على أن فى بطل القصة ظلالا من ملامح المؤلف ذاته ، فاراد هيكل أن يجنب سيرته الخاصة فضول الناس٠

اما ما يذكر من أن التـــاليف القصصى فى ذلك الوقت لم يكن له شان ولا اعتبار فى مجال الادب ، فلهذا حاذر هيكل ان يكتب اسمه على روايته ، فلا يتفق مع الحماسة التى كتب بهـــا القصة والجهد الذى بذله فيها ٠ وغير هيكل من الرواد القصصيين لم يهملوا كتابة اسمائهم ، وفيهم من كان أعلى فى الطبقة الاجتماعية ــ ان أخذ هذا فى الاعتبار ــ وأكثر انشغالا بفنون الادب ، مثل محمد تيمور ٠

الادب وعكسه فى صحافتنا

منذ أسابيع أعلنت الجمهورية عن عددها الممتاز الذى يصدر يوم الخميس ، وتضمن الاعلان أن فى العدد صفحة للادب ، وظهرت الجريدة فى الاسبوع الاسبق وليس بها صفحة للادب ، وفى مكانها المعتاد موضـــوع يشـــغل نصف الصفحة عن شاب فى الاسكندرية يشبه عبد الحليم حافظ ويتلقى من أجل ذلك نظرات الاعجاب من الفتيات ، ويحظى بتسابقهن اليه وتهافتهن عليه ٠٠

وتكرر الاعلان عن صفحة الادب ضمن محتويات العدد الممتاز فى الاسبوع التـــالى ، وتكرر عدم ظهورها ، كما تكرر نشر موضوع ممـــاثل لذاك مكانها ، وهذا الموضوع الذى نشر بديلا من الادب يقول ان بليغ حمدى تزوج عند الفجر ودفع للعروس مهرا قدره ٢٥ قرشا وشهد على العقد عبد الرحمن الخميسى وحسن عبد العزيز المخرج بالاذاعة ٠ نشر ذلك بعنوان يتكون من ثلاثة أسطر على اربعة أعمدة من الصحيفة ، ونص العنوان هكذا : « أيقظ بليغ حمدى الفتاة التى يحبها عند الفجر وقال لها : هل تتزوجينى ؟ »

« جاءت العروس بملابس عادية والنوم فى عيونها لتتزوج »

« بحثوا عن مأذون فى القاهرة حتى وجدوه فى عابدين » ٠

ولاهمية هذا الموضوع « الفائقة » نشر كذلك فى جريدة الاخبار ، وان كان المضمون يختلف قليلا ، اذ قالت الاخبـــــار ان بليغ ذهب الى عبد الرحمن الخميسى فى الفجر وقال له « أنا عاوز أتجوز حالا » وأن زوجة الخميسى ذهبت الى العروس وأيقظتهـــا وأحضرتها ، أما موضوع الجمهورية فيقـــول ان العريس أيقظ العروس بالتليفون ، وذهبا الى منزل عبد الرحمن الخميسى ٠

وبين آونة واخرى يطلع علينـــا كاتب من كتاب الصحف فيقول ان نشر الادب ليس من شان الصحف اليومية ، لانه لا يهم جمهور القراء ٠ ويجرنا هذا الى ندوة دعتنا اليهـــا جامعة الثقافة بالاسكندرية موضوعها « الثقافة للجماهير » وتحدثنا أنا وزميلى الاستاذ فوزى سليمان المحرر بالمســـاء عن وجوب تيسير الثقافة لجماهير الشـــعب ، وعما يبذل فى سبيل ذلك من الجهود ، وبعد أن انتهينا من الحديث انهالت علينا الاسئلة وقد تركز معظمها على الصحافة باعتبارها وسيلة من وســـائل نشر الثقـــافة على الشعب ٠

قال لى أحد الشباب : ما الذى يهمنى من نشر أن المطرب فلان الفلانى سهر حتى الصباح ثم قام وتمشى على شاطىء البحر ؟ وقال آخر : وما الذى يهمنى فى الموضوع الذى شـــغل صفحة فى جريدة كبيرة عن كلب مطربة كبيرة عض أحد محررى الصحف ؟ وقال اديب ناشىء : انى أكتب قصصا وأرسلها الى الصحف فلا تنشرها ولا تنشر حتى توجيها عنها يكتبه احد محرريها الادباء ٠

وقلنا لهم : هذا صحيح ٠ وقالوا لنا : وما العمل؟

وعدت الى القاهرة وأنا افكر فى هذا السؤال : وما العمل ؟ ولم أهتد بعد الى شىء ٠٠

عباس خضر

فى عالم الفن

استعدوا للمهرجان الثالث !!

بعد المهرجان التليفزيونى

بقلم عبد الفتاح البارودى

وماذا سنفعله بعد أن انتهى المهرجان الدولى الثانى للتليفزيون ؟! لا جدال فى أن هذا المهرجان حقق نجاحا كبيرا من مختلف النواحى ، أى انه نجح ماديا وفنيا وشعبيا ، بل انه بمقارنته بغيره من المهرجانات يعتبر ـ بلا مغالاة ـ من أنجح المهرجانات الدولية . ولكن لا يكفى أن « نفرح » بهذا النجاح ·· ابدأوا فورا ببحث وسائل الاستفادة به كتجربة عملية أتاحت لنا الاحتكاك بثقافات عالمية ، وبفنانين ارتفعوا الى المستوى العالمى بالممارسة القائمة على الدراسات الاكاديمية والمنهجية ، وبخبراء لا شك فى أنهم من أساتذة « التكنيك » الفنى ·

***

ان التليفزيون سيبدأ فعلا ـ فى الاسبوع القادم ـ عرض البرامج التى اشتركت بها المحطات العالمية فى المهرجان ، ولكنه سيعرضها فى نطاق محدود ··· سيعرضها على المشتغلين ـ داخل التليفزيون ـ بالبرامج التليفزيونية . وطبعا لا يكفى هذا ··· ان تثقيف العاملين فى التليفزيون مسألة مهمة ، ولكننا نريد نشر الوعى التليفزيونى ليس فقط داخل الاستوديوهات ، بل أيضا خارج الاستوديوهات . فى الشارع والبيت والحقل والمصنع والمدينة والقرية ·· وبديهى أن التليفزيون أعد تخطيطات كثيرة لدراسة برامج المهرجان على نطاق واسع ، وانما المهم أن تساهم هذه الدراسة فى تنمية وتعميق التفكير التليفزيونى ، وفى زيادة الخبرة بالتكنيك التليفزيونى ، وفى مواصلة تطوير الفن التليفزيونى · ان المهرجان نفسه لم يكن مجرد حفلات لتقديم البرامج والنجوم ، وانما كان فى حقيقته دليلا على اننا فى طريق تطورنا التليفزيونى بلغنا مرحلة أهلتنا للتنافس الفنى فى النطاق العالمى ، وواجبنا الآن أن نجعل هذا المهرجان بداية لمراحل أخرى وتطورات أخرى فى هذا الفن الذى يتطور بسرعة مذهلة فى التفكير والأداء والتكنيك ·

ان برتراند راسل يفضل عرض مناقشاته الفلسفية فى التليفزيون ، وسارتر يقول ان الفن التليفزيونى سيلغى نظرية « الخداع الفنى » ، وأورسون ويلز يقول ان شيكسبير لو عاش فى العصر الحديث لكتب كل رواياته للتليفزيون ·· ان كثيرين من كبار المفكرين والفنانين يعتقدون أن التطورات المذهلة التى تحدث فى التليفزيون لاتدفعه فقط الى مكان الصدارة بين الفنون ، فانه فعلا فى هذا المكان ، وانما تؤكد أيضا انه فن المستقبل ·· وليس معنى ذلك أن الفنون يمكن ترتيبها فى طوابير مثلا ، أو أن التليفزيون سيقضى على الفنون الاخرى ، وانما معناه الحقيقى أن التفكير التليفزيونى سيؤثر فى كل الوان الانتاج الفنى بالضرورة ، وفعلا بدأت تتكيف حسب مواضعات هذا الجهاز الالكترونى لتعرض على شاشته الصغيرة ·

ان من واجبنا دراسة هذه الدقائق على ضوء ما عرضه المهرجان من برامج ·· ان التعمق فى بحث « تكنيك » هذه البرامج يلقى الضوء على مواطن التطوير فيها ، ويساعدنا على متابعة التطورات العالمية فى فن التليفزيون ، ويزيد استعداداتنا لادراك جوهرها ويعطينا القدرة على ملاحقتها ومسايرتها والمشاركة فيها ، ثم التنافس فيها مع الدول المتحضرة ، كما تنافسنا معها فعلا وبجدارة فى هذا المهرجان الدولى ·

***

ونحن فعلا نتطور ، ولكن يجب ان ندرك حاجتنا ـ دائما ـ الى مواصلة التطور ، والى بحث تطورات الآخرين والاستفادة منها بالاحتكاك الثقافى والفنى ودراسة نتائج هذا الاحتكاك ·· ومن الصعب استقصاء ما أحدثه التليفزيون عندنا من تطوير فى التفكير الفنى وفى الانتاج الفنى ليس فى الحقل التليفزيونى فقط بل فى مختلف الحقول الفنية ·· ان هذه النهضة الفنية الملموسة كان للتليفزيون ـ المولود منذ ثلاث سنوات فقط ـ أثر جوهرى فيها

فمثلا شـــــهدنا في الندوات التليفزيونية مناقشات أدبية وفنية تناولت مشكلات في غاية الاهمية ·· وعرض التليفزيون قصصـــا لرواد الفنون وأفلاما ومسرحيات ومقطوعات سيمفونية عالمية ·· وقــدم لنا التليفزيون معلومات لاحصر لها عن الشخصيات التاريخية والاستكشافات العلميــــة في مختلف المجالات ·· وفي المسرح مثــــلا لولا المشروعات التليفزيونية فربما ظلت بلادنا ذات مسرح واحد· ان معظم التوسعات الفنية الحديثة ظهرت أو تأثرت بالتطور التليفزيوني ··· وأيضـــا التراكيب الفنية الكبيرة التي نتطلع اليهـــا ظهرت بداياتهـــا في الاستوديوهات التليفزيونية ·· فمثـــــلا المسرح الغنائي الذي افتقدناه طويلا بدأ يظهر في شـــكل أوبريتات أو صور غنائية تليفزيونيـــة ·· وكون التليفزيون نواة لفرقة سيمفونية ، واستخدم أكثر من فرقة اوركسترالية مع الاستعراضات الغنائية ، وقدم برامج متعددة لعرض وشرح الموسيقى العالمية

***

وطبعا بين البرامج التي يقدمها التليفزيون برامج سيئة ، ولكن المهم أنه يحاول أن يتقــدم ·· وفي الناحية الترفيهية أيضا برامج ومنوعات كثيرة جدا وهي كذلك فيها برامج سيئة ، ولكنه على وجـــه العموم سواء في البرامج التي تعطى الثقافة والمعرفة أو البرامج التي تعطى المتعة والتسلية يحاول أن يرتفع الى المستوى الفني ، وفعلا تخلص من مساوىء كثيرة ، ويكفى للدلالة على ذلك أن تقارن بين الانتاج الفني منذ أن ظهر التليفزيون الى الآن سواء داخل أو خارج الاستوديوهات التليفزيونية ·

لاجدال في أنه حدثت تطورات ملحوظة الى الامام واتجه التفكير الفني الى خدمة الشعب ، وظهر أثر هـــذه التطورات في اهتمـــامات الشعب ، فامتـــلأت مقاعد المسارح ، وزاد الاقبـــال على شراء الاجهزة التليفزيونية ، وتزاحم الناس على مشاهدة البرامج التليفزيونية امام الاجهـــزة الـــكثيرة التي اقيمت في الشـــوارع والميادين والاندية والمراكز الثقافية ·· الخ ··

انني لا استطيع هنا تناول كل التفاصيل ولـــكن كيف ولماذا نجح التليفزيون في احداث هذا التطور الفني دون أي فن آخر أو أكثر من أي فن آخر ؟·· هناك أسباب كثيرة ولكني أذكر من ناحية التكنيك فقط أن طبيعة الفن التليفزيوني تهيء له هذا النجاح ليس في بلادنا فقط ، بل في كل بلاد العالم · · ان تأثر الفنون بالتكنيك التليفزيوني أصبح واضحا جدا في المسرحيات الحديثة والافلام الحديثة ، وفي عقلية أصحاب الانتـــاج الفني – أي الفنـــانين – ومستهلكي الانتاج الفني – أي الجمهور ·

***

من أجل ذلك يحاول الفنانون تكييف انتاجهـــم حسب ابعاد واعماق الشاشة الجديدة الصغيرة ليمكن عرضه فيها ، بعد أن تضخم حجم جمهورها ، وهو نفس الجمهور الذي كان ولا يزال يدخـــل المسرح والســـينما ، ومن هنـــا توهم كثيرون أن التليفزيون مسرح وسينما معا ، بينما الحقيقة انه فن جـــديد تماما ، وكل مافي الامر أنه بطبيعته ذات القدرات الفنية الضخمة استطاع تطوير وتطويع الانتـــاج السينمائي والمسرحي لمواضعاته الخاصة ·

ان الكاتب المسرحي لم يعد يكتب للمسرح فقط بل أصبح في ذهنه احتمال نقل مسرحيته تليفزيونيا وهكذا تغيرت ذهنيته هو وسائر منتجي الفنون · وأضيف اليهم فنانون تفرغوا للفن التليفزيوني ، وهكذا أصبح المجال التليفزيوني مهيأ لاستيعـــاب سائر الوان الانتاج الفني ، وأصبح الجهاز التليفزيوني اداة لعرض مختلف الالوان الفنية ، واداة لتطويرها

ان كل هـــذه التطورات يمكن دراستها بالتطبيق على برامج المهرجان ، ويمكن أيضـــا – بل يجب – دراستها كمراحل فنية متطورة تلقي أضواء كثيرة في طريق تطورنا ·· فمثلا امريكا عرضت فيلما من نوع «الأوبرا» ، وهذه ظاهرة غريبة ، لان أمريكا أذابت التفكير الموسيقي في استعراضات الموسيقى الكوميدية في برودواي ، وفي صخب «الجاز» في علب الليل والملاهي الراقصـــــة ، ومع ذلك فان المواضعات التيلفزيونية التي لا تســـمح بالتفتت أو بالصخب أتاحت لمؤلفي الموسيقى فرصـــة التأليف الوضوعي المتكامل ، وساعدتهم الخبرة بتكنيك التليفزيون ، وكانت النتيجة هي ظهور الاوبرات والألحان المسرحية في اطار تليفزيوني ·· هذه مسائل تفيدنا دراستها في زيادة المعرفة بالمواضعات التليفزيونية ، وزيادة الخبرة باعداد الانتاج الموسيقي تليفزيونيا · · · وسويسرا مثـــلا اشتركت بفيلمين أحدهمـــا علمي حاد ، والثاني خفيف جدا ، وهذا يعطينا فكرة عن أثر تفـــاوت التفـــكير الفني فيهـــا في التفـــاوت بين مستويات الانتاج الفني لدرجة التناقض ، ومع ذلك

امكن بالبراعة فى التكنيك أن توضع هذه المستويات المتناقضة فى شكل فنى .. اننى لا أتناول الآن برامج الدول التى اشتركت فى المهرجان بالتفصيل وانما من الواضح أن هذه البرامج بصفة عامة تمثل تطورات سريعة جدا فى الفن التليفزيونى .. ان هذه التطورات شملت الأداء والتنفيذ والتفكير .. وكلها نتيجة للتعمق فى فهم خصائص هذا الفن ومحاولة ادراك أسراره .. ان بين البرامج برامج سريعة الايقاع ، وبرامج عويصة الفهم ، وبرامج متشعبة الموضوعات .. الخ .. وبالعكس أيضا فيها برامج بطيئة لدرجة تبعث الملل ، وبرامج خفيفة لدرجة تثير الغيظ .. الخ .. ولكن ليس فيها برنامج واحد غير مدروس ، ولا برنامج واحد لم يبذل فيه جهد كبير ، ان كل البرامج على وجه العموم تدل على أن الذين أعدوها ونفذوها يعرفون معنى المسئولية الفنية، وأكثر من هذا انهم يحاولون ممارسة تجارب جديدة لاكتشاف مجهولات هذا الحقل الجديد واستخدام كل امكانياته فى التعبير الفنى وبرامجنا أيضا تدل على أننا نتطور ونحاول ادراك أسرار هذا الحقل الفنى.. ان فكرة المهرجان نفسها تطورت فى أذهاننا تطورا نلمسه فى الفرق الكبير بين المهرجان الاول والثانى .. ان الدعوة الى المهرجان الثالث منذ الآن تؤكد هذا التطور .. ان المهرجان الاول أقيم دون أن نشترك فيه بأى برنامج ، ودون أن يشترك الجمهور فيه اشتراكا عمليا ، ودون أن تناقش برامجه وتفصيلاته واتجاهاته الفنية .. أما المهرجان الثانى فان برامجه عرضت علانية ، وبدأت الاستعدادات لعرضها للدراسة والمناقشة .

كذلك تطورت مفهوماتنا التليفزيونية .. ومهما يكن الرأى فى مستوى بعض البرامج فلا جدال فى أهمية الجهود التى تبذل للاستفادة من أخطاء هى فى الواقع — من الناحية الفنية — أخطاء تجارب جديدة فى فن جديد .. ان نتائج هذه الجهود تظهر باستمرار فى التغييرات والتطورات التى تحدث فى كل دورة سواء فى موضوعات البرامج أو فى التناول الفنى أو فى محاولة بلورة برامج كل قناة فى شخصية مستقلة ، ومحاولة اثارة التنافس بين البرامج والقنوات على أسس فنية .. كذلك تظهر نتائج هذه الجهود فى النشاط الذى أحدثه التليفزيون فى مختلف المجالات الفنية ، وفى الخامات والمواهب الجديدة التى اكتشفت فعلا .

ان أهم النتائج أن النشاط التليفزيونى يتجه نحو خدمة الشعب ونشر الوعى التليفزيونى ، ومحاولة تدعيم المفهومات الفنية بالعلم ، ومن أجل ذلك أنشىء معهد التليفزيون ، وهذا الاتجاه العلمى كما انه يفيد فى تطوير برامجنا تطويرا سليما فانه أيضا يرفع مستواها الفنى لتشارك البرامج العالمية فى خدمة الاهداف الانسانية .

***

واذن فنحن نتطور تطورا ايجابيا .. وهذا المهرجان ليس مجرد استعراض للنشاط التليفزيونى العالمى ، بل انه دليل عملى على تطورنا ، فهو يواجهنا بالخبرات العالمية مواجهة تطبيقية ومقارنة ، ومن أجل ذلك يجب أن نستفيد من هذه المواجهة .. ان البرامج التى اشتركنا بها فى المهرجان تبرهن على أننا اجتزنا مرحلة الاكتفاء بالانتاج المحلى البحت ، أو على الاقل نكافح لنجتاز هذه المرحلة .. وفعلا فيها تفكير جديد وتكنيك جديد ، ولو بالنسبة للمرحلة التى بدأنا منها .. فنحن مثلا نحاول فيها التعبير بلغة الكاميرا التليفزيونية ، ونحاول تناول موضوعاتنا بأسلوب تليفزيونى ، ونحاول تصوير الاحداث تصويرا فنيا ونحاول معالجة رواية عالمية مثل رواية تاجر البندقية بكاميراتنا وأدواتنا وداخل استوديوهاتنا .. ان هذه الاتجاهات الفنية موجوده فعلا فى البرامج التى تقدمنا بها داخل وخارج المهرجان ، وهى اتجاهات تؤكد تطورنا الفنى ومع ذلك فلا بد من وضع تخطيط دقيق وعملى للاستفادة من هذا المهرجان باعتباره أضخم فرصة تليفزيونية للاحتكاك الثقافى والفنى بخبرات وخبراء ونجوم العالم .

***

ابدأوا فورا بترجمة النصوص الكاملة لبرامج المهرجان .. أعيدوا عرضها فى ندوات حية لا يكتفى فيها بالتعليق الروتينى عليها ، بل لا بد من شرحها شرحا تفصيليا ، أى شرح نصوصها وفلسفتها وكيفية اعدادها وتصويرها واخراجها .. الخ .. أشركوا الفنيين فى التليفزيون فى مناقشتها واطلبوا منهم كتابة آرائهم فيها ومقارنتها ببرامجنا ابحثوا أسباب نضوجها وارتفاع مستواها ومستوى مخرجيها ومصوريها ومؤلفيها ونجومها .. درسوها فى معهد التليفزيون فى مادة تخصص «للفن المقارن» .. أشركوا الجمهور فى الندوات التى تناقش فيها .. ابدأوا فورا .

عبد الفتاح البارودى

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

تقدم .. من الكتب المترجمة

في عربة الركشة ...

تأليف : لاو شو
ترجمة : محمود عزت موسى
مراجعة : الدكتور عبد الغني خلف الله
٤٦٩ صفحة — الثمن ٤٤ قرشاً

موثق عقود الهافر ...

تأليف : جورج دوهاميل
ترجمة : مجدي السيد ابراهيم
مراجعة : الدكتور عبد العزيز برهام
٣١٣ صفحة — الثمن ٢٠ قرشا

المنزل الريفي ...

تأليف : ا. م. فورستر
ترجمة : محمد مفيد الشوباشي
مراجعة : فؤاد اندراوس
٥١١ صفحة — الثمن ٤٢ قرشا

جُناح الأحداث ...

تأليف : جين شزال
ترجمة : عبد السلام القفاش
مراجعة : الدكتور يوسف مراد
١٥٥ صفحة — الثمن ١٢ قرشا

تطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابي ت ٤٦٣٨٣

الكتب - نقد وتعريف

آسيا والسيطرة الغربية

تأليف : ك . م . بانيكار

ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد .

يبحث الكتاب مقدمات وتطور السيطرة الغربية على آسيا ووسائلها الاستعمارية فى تثبيت هذه السيطرة منذ بداية التوسع الأوربى (١٤٩٨ - ١٧٥٠) الى عصر الاستقلال .. وقد قارن المؤلف بين العرب الذين كانوا يمارسون التجارة مع دول آسيا قبل حركة التوسع وبين الأوربيين - وبين كيف ربط الاوربيون التجارة بالسيطرة السياسية بعكس العرب الذين لم ترتبط تجارتهم مع الدول الآسيوية بأية اغراض سياسية : فقال « ولم يحدث قط ان شابت نشاط العرب التجارى أية شائبة سياسية - وكان العرب يتجرون بمنتهى الحرية بجميع الموانى الهندية ، وينطلقون بسفنهم الى المحيط الهادى بل يبلغون ساحل الصين .. »

ثم يقول .. **والواقع الفعلى للتوسع الأوربى المبكر فى المياه الآسيوية لم يكن حضارة تزحف نحو الامام ولا هو مسرح عرائس يديره تجار مهرة من وراء الكواليس - بل كان محاولة للالتفاف حول قوة الاسلام البرية الجارفة فى الشرق الاوسط »**

وقد أوضح البوكرك - هذه السياسة الأوربية فى خطاب ألقاه على جنوده بملقا - فى قوله ..

« ان ابعاد العرب عن تجارة الاتاوية هو الوسيلة التى يرجو بها البرتغاليون اضعاف قوة الاسلام » .

ويذكر الكتاب فى ص ٤٠ تلك القسوة البالغة التى عامل بها الأوربيون التجار العرب فى البحار - وأعمال القرصنة البدائية التى مارسوها ضدهم فيقول « لقد تصادف والتقت العمارة البرتغالية ببعض السفن غير المسلحة العائدة من مكة - فالقى فاسكوداجاما القبض عليها وعمد بعد تفريغ السفن مما بها من بضائع وحظر أى فرد من اخراج أى عربى منها - وأصدر الاوامر باشعال النار فيها ..

وعندما فتح البرتغاليون جوا تصرفوا بوحشية مع العرب اذا كانوا يملئون بهم المساجد ويضرمون فيها النار .. وقد قال البوكرك أيضا لرجاله فى احدى خطبه :

« يجب اطفاء شعلة شيعة محمد بحيث لا يندلع لها فى آسيا لهيب » .

وقد أبرز المؤلف حقيقة تاريخية هامة وهى ان الاسطول المصرى الذى ذهب الى شواطىء آسيا للمساهمة فى ايقاف التوسع الأوربى فى آسيا لم يهزمه البرتغاليون كما تدعى المصادر الأوربية ... وقد أشار الى ذلك فى ص ٤٢ قائلا ..

«طلب الزامورين سلطان قاليقوط مساعدة سلطان مصر الذى كانت تربطه به علاقات المودة والصداقة - وعندئذ تقدم الى بحر العرب اسطول مصرى يحمل مالا يقل عن ١٥٠٠ جندى مجهزين بأحدث الاسلحة البحرية بقيادة أمير بحر مجرب اسمه « مير حسين » وكانت خطة مير حسين الاستراتيجية هى اتخاذ جزيرة ديو قاعدة له ... والتقى الاسطولان المصرى والبرتغالى عند تشاول فى منتصف الطريق على الساحل - وكانت المعركة فى جملتها حرب مدفعية - كما أن البرتغاليين فشلوا فيما حاولوه من النزول على ظهر السفن المصرية - وبعد يومين من تبادل اطلاق المدافع عزم البرتغاليون على الفرار - وقد ساعدت الخيانة البرتغاليين بعد ذلك - فان « مالك آياز» وهو أوربى أسلم - وحاكم - ديو - من قبل ملك جوجيرات انضم سرا الى البرتغاليين وحرم مير حسين من المدد والمؤن ..

ورغم أن معركة ديو البحرية (٣ فبراير سنة ١٥٠٩) لم يكن لها نتيجة حاسمة .. سواء بالنسبة للبرتغاليين أو المصريين فان الاسطول المصرى انسحب من المياه الهندية ليس مهزوما - وانما انسحب ساخطا على أولئك الذين جاء لمساعدتهم فقطعوا عنه المؤن ..

وقد بحث الكتاب كذلك مراحل تغلغل الاستعمار الأوربى فى الهند والمراحل التى مرت بها السياسة الغربية تجاه الصين وخاصة بعد معاهدة «تانكنج» -

ومعاهدة تيانتسن ـ واتفاقية بكين ٠٠ والاسباب الواهية التى شنت بريطانيا على أساسها حرب الافيون المروعة على الصين ـ ومراحل هذه الحرب٠٠ هذا بالاضافة الى شرح واف للوسائل البربرية التى كان يتبعها الاستعماريون الاوربيون مع العمال الصينيين ـ مثل تصيدهم كالحيوانات والاتجار فيهم وتسخيرهم للعمل بالمزارع الأوربية ٠٠ وكيف كان هؤلاء العمال ينقلون فى سفن تعرف باسم «الجحيم العائم» الى سان فرانسيسكو حيث بلغ عدد العمال الصينيين الذين نقلوا اليها فى عام واحد هو عام ١٨٦٣ ١٠٠٦٧١ عاملا وكذلك نقل الى كوبا ٥٢٠٧ والى بيرو ٨١ر٤١٧ عاملا صينيا وقد كانت نسب الوفاة فى هذه السفن تتراوح بين ٤٠ ، ٤٥٪ وذلك للطريقة الوحشية التى كانوا يكدسون بها فى هذه السفن ٠

وقد أوضح المؤلف كيف استطاعت اليابان وهى دولة آسيوية أن تنفذ الى سر قوة الغرب وأن تأخذ عن أوربا العلوم التكتيكية والرياضيات وغيرها ـ وذلك بفضل اليابانيين الرواد أمثال تاكاشيما ـ وساكوما شوزان ـ وتاكونا وغيرهم الذين انكبوا على دراسة اللغة الهولندية ومن خلالها ترجموا ودرسوا العلوم الاوربية ٠٠ ومهدوا بذلك للتطور العلمى فى اليابان ٠٠ والذى استطاعت بمقتضاه اليابان أن تقف بعد ذلك مع دول أوربا على قدم المساواة ٠٠

والرسالة تقول :

لقد أوجد الاوربيون مبدا خطيرا منذ بداية حركة التوسع وما بعدها ٠٠ ذلك بقولهم انه ليس على الشعوب الاوربية اية التزامات خلقية عند معاملتها للشعوب الآسيوية كما حدث يوم أجبرت بريطانيا على تنفيذ تجارة الافيون ـ خارقة بذلك قوانين الصين ـ رغم ان تدخين الافيون فى انجلترا ـ شىء يحرمه القانون ٠

وفى اعتقادنا أن ظهور وتماسك جبهة الدول الآسيوية والافريقية فى الوقت الحاضر ـ يرجع أساسا الى تلك المعاناة المشتركة لمحنة دامت أكثر من مائة عام ٠٠ فقد مرت هذه الاقطار جميعا بنوع واحد من العدو ـ وقاتلت فى نوع واحد من المعارك والتقت بنوع واحد من العدو وقد سار التطور المتجه نحو الحرية السياسية فى خطوط متوازية بوجه عام ٠٠ وذلك لان الدول الاوربية كانت تقف دائما فى آسيا ـ جبهة متحدة ـ أساسها عنصرى ـ وذلك رغم الخلافات الناشئة بينها فى أوربا ـ مثال ذلك أنه عندما كانت الحرب دائرة بين فرنسا وألمانيا فى اوربا ـ اضطر السفير الألمانى فى الصين ازاء ضغط مبدأ تماسك الاوربيين بعضهم مع بعض ضد الآسيويين أن ينضم الى صف زملائه الفرنسيين فى مشكلة تيان تسن ـ وكذلك كان موقف الدول ازاء اليابان أثناء فترة مفاوضات تعديل المعاهدة ٠٠

واذا كانت دول أوربا تتخوف الآن من يقظة المارد الأصفر الذى يقولون عنه أنه سوف يكتب تاريخ النصف الثانى من القرن العشرين ٠٠ فان اوربا قد وضعت الاساس العدائى المترسب فى نفوس جميع الشعوب الآسيوية لها ولنظمها ولمدنيتها العدائية العنصرية ٠

كلمة اخيرة نقولها لمؤرخينا ٠٠ الم يحن الوقت بعد لدراسة تاريخ مصر العسكرى ٠٠ وتصحيح ما به من اخطاء ٠٠ ؟ ٠٠ وسوف يكون عملا رائعا ٠٠ لو صدر كتاب او عدة كتب تحمل هذا الاسم ٠٠ يكون منهجها واضحا وبسيطا وهو ٠٠٠ دراسة اثر العسكرية المصرية فى التطور التاريخى العالمى ٠٠ وخاصة أن لدينا حقائق تاريخية أذكر منها : ـ

أولا : لقد حمت مصر أوربا من المغول عندما هزمت جحافلهم فى عين جالوت ٠٠

ثانيا : دافعت مصر عن الشرق وحمته من سيطرة الصليبيين المتعصبين ـ فى مجموعة المعارك البطولية التى خاضها جيش مصر ضد أوربا مجتمعة ـ بقيادة صلاح الدين ٠٠

ثالثا : أوقفت حرب السويس الاستعمار الأوربى وأرغمته على التسليم لكثير من الدول الأفريقية بالاستقلال بعد أن دقت عنقه فى بورسعيد ٠٠

ترى لو كان مير حسن قائد الاسطول المصرى قد تغلب على البرتغاليين وطردهم من آسيا ٠٠٠ فهل كان باستطاعة الدول الأوربية ـ أن تستعمر ما استعمرته من البلدان ـ وكذلك ٠٠ ولو كانت انجلترا وفرنسا واسرائيل قد نجحوا فى عدوانهم على مصر عام ١٩٥٦ ـ فما هى النتائج السيئة التى كان من الممكن أن تترتب على هذا النجاح ٠٠

ان تاريخ مصر العسكرى فى حاجة الى دراسة واعية ٠٠ مرنة متطورة ـ توضح التأثير المباشر للجيش المصرى فى تطورات التاريخ الانسانى العام ٠

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

رسالة الآداب والعلوم

سيدي

اكتب اليكم وقد غمرتني الفرحة وعمني السرور .. فلقد كان دوائي الوحيد لا يوجد الا في صيدليتكم أنتم يا من اسديتم للبشرية النور والمعرفة والعلم والحضارة والادب الرفيع ، ان دوائي هو كل ما اريده في حياتي لا ابتغي سواه بل وفي سبيله اقدم نفسي فداه ..

فلقد سمعت عن الرسالة وقت أن كنت طالبا بثانوي الازهر من استاذي محمد الطيب النجار استاذ التاريخ الاسلامي بالازهر . واذكر قوله : « كنا نتسابق في اقتناء الرسالة فاذا ما جاء موعد صدورها الفيت كلا منا يعدو عدوا سريعا لشرائها. نظرا لنفادها في الحال . والحقيقة ايها الطلاب . ان من اراد الادب فعليه بالرسالة ومن اراد السمو والصعود والمعنى قدما في طريق المعرفة الحقة والعلم الغزير فليتخرج من مدرستها » . فمن مدرستها تخرجت .

ولسوء حظي احتجبت الرسالة فجأة . فتساءلنا عن احتجابها وكان التساؤل بدون طائل ..

واذا برسالة النور والآداب والعلوم والفنون تظهر فجأة فاحيت مواتنا بل واثارت في نفسي ما سمعته من استاذي الطيب النجار .. الا اني اخيرا اطلب من سيدي الاستاذ احمد حسن الزيات لو تفضل مشكورا . وانقذ الكثير من طلاب المعرفة والعلم في شتى انحاء المعمورة واسعفنا واعاد طبع ما فاتنا في اجزاء حتى تستدرك تلك الجواهر الثمينة والدرر النفيسة والتي لا يمكن بحال أن نصل الماضي بالحاضر والحاضر بالماضي الا بها . فرحمة بي وبالذين يريدون المعرفة ان تنظر الى والبهم وأن تقدم الينا الدواء .

عبد الله عزت السيد الشحات

كلية الدراسات العربية ــ جامعة الازهر

الى السيد/عبد الحليم

قرات في بريد الرسالة الادبي في العدد الماضي رسالة بتوقيع الأخ السيد/عبد الحليم عبد الفتاح عويس توهم أولا بأن ما نشرته في عدد الرسالة الصادر في ١٥ أغسطس الماضي قد أذعته بالبرنامج الثاني مجلة أخبار الادب بتاريخ ١٩ أغسطس أي بعد صدور الرسالة بأيام أربعة .

وتوهم ثانيا بأن موضوع « تأملات في الادب والنقد » بحث ظهر في احدى المجلات الاسلامية في ليبيا ، وأني قد استعرت أفكاره ...

أما ما سجلته بالبرامج الثاني بتاريخ ١٠ اغسطس الماضي فهو حديث مسهب عن المؤلفات الحديثة منها « السنة قبل التدوين » ولم أذع حتى الآن اي شيء مما تناولته في مقال « الفكر العربي والاسلامي » وقصدت من الاشارة الى كتاب « السنة قبل التدوين » على صفحات الرسالة أهمية الكتاب وخطورة موضوعه مع الفارق الشاسع بين ما أذعته وما كتبته على صفحات الرسالة .

أما مقال الاستاذ الفقهي فقد أشرت في الرسالة الى موضوع المقال وكاتب المقال والمجلة الاسلامية الليبية التي نشرت المقال ، وموقفي منه موقف المعلق لا اكثر ولا اقل ــ اما عبارته الاخيرة في رسالته ، وهي أنه يريد مني مزيدا من الجهد حتى لا اكرر نفسي ، فقد كنت أود منه ــ وهو لا زال طالبا ثانويا كما سمعت ، أن يتركها لغيره من أساتذته ليتولوا عنى الاجابة .

أما أنا فلا يسعني الا ان اشكر له عنايته بما كتبت وبما أذعت ، وأسأل الله ان يجعلني دائما عند حسن ظنه بقلمي المتواضع .

محمد عبد الله السمان

اين التعليم الصحيح ؟

عادت الرسالة فعادت معها استقامة الفكر في الادب واللغة والدين . وعدت معها الى التفكير الحر السليم ،

وقد اكتشفت نفسي بعد خدمة أربعين سنة في صناعة التعليم في مصر والاقطار العربية ٠ كنت فيها مدرس متهج ، وطباخا للعقول ، أقدم لها ما لا أحب ليلتهم الطلاب ما يوصلهم الى احراز الشهادات ثم الرزق العاجل بعد تلهف شديد ، وترقب مر ، فاذا احتضنوا الوظيفة كانت نهاية المطاف الا من عصم الله أريد أن أقول : ان التعليم الصادق أن تسير التربية العقلية والخلقية واللغوية مع الطالب من المدرسة الابتدائية والاعدادية والثانوية ثم الجامعة وهو في كل ذلك يتكامل أدبا وعلما ودينا وخلقا ٠

فما باله يقصر جده واجتهاده على مادته من التعليم الثانوي الى الجامعة تلك التي يريدها لمستقبله ويكاد يجهل كل شيء سواها الا ما يبعث على التسلية ٠ وربما كان بارعا في مهنته ناجحا فيما تخصصه فيه ؛ فاذا جلس الى أترابه في أوقات فراغه كان عاديا جدا في تفكيره وأهدافه وثقافته العامة وما دام قد ترك (الورشة بالنهار !) فهو سطحي بالليل ٠

وقد استفاضت شكوى أساتذة الجامعات من أن الطلاب مدرسيون لا يستقلون بكتابة البحوث فكيف يرجى منهم ان يحملوا اعباء الأمة في غير ما تخصصوا فيه ٠

حتى ان بعض كبار المتعلمين قد تقام له حفلة تكريم فيعجز عن شكر الذين كرموه بلسان صحيح وفكر مستقيم ٠

ثم يعتذر عن نفسه بانه ليس من الخطباء ولا من أرباب الكلام وانه يشكرهم بقلبه ٠ وليس كذلك أبناء اللغات الاخرى ٠ فهل للمشرفين على التعليم في هذا البلد أن يهدفوا الى تكوين العقل قبل دراسة المنهج ، والى اصلاح اللسان قبل الاعداد للامتحان ، والى خلق الطالب المثالي قبل أن يخرج الى الحياة مجردا من الأسلحة الا سلاحا واحدا يلج به الى المادة التي يقال : انها لا تغني ثم المال الذي وجده بعد طول حرمان ٠ والدولة الآن مشغولة بترتيب البيت ٠ أليس منه تثقيف العقول التثقيف الصحيح ، وسد ثغرات التعليم التي طال عليها الزمان ٠

حسنين حسن مخلوف

* * *

حول الثورة الدينية

قرأت في العدد رقم ١٠٢٤ من مجلة الرسالة تحت عنوان « مع الثورة الرابعة الدينية » للاستاذ الكبير محمود علي قراعة واعجبت بهذا المقال وتؤيد سيادتكم في مطالبتكم بثورة رابعة دينية تلك التي ستطهر السنة من الأحاديث الموضوعة والكاذبة وكذلك اظهار الاسلام الصادق بمظهره اللائق به وتنقيته من الشوائب التي تسند اليه ٠

وكذلك نقف مع الاستاذ محمود علي قراعة بمطالبته بعقد مؤتمر لتلخيص الكتب الضخمة تلخيصا معقولا كما يجب تخليص الكتب الدينية من الاحاديث الموضوعة والمبادىء الكاذبة ٠ كما أرجو أن لا يحرمنا الاستاذ قراعة بمقالاته الشيقة بصفة دائمة على صفحات الرسالة ٠

واني أدعو الله أن يزيد من ايماننا بالله ويوفقنا الى ما فيه الخير ٠

احمد عبد المعطي احمد
بالواسطي ـ أسيوط

تحية خالصة للرسالة

قل للرسالة بعد حسن مآب
يدمي القلوب تفرق الاحباب
واذكر لها أنا على طول المدى
من اخلص القراء والكتاب
قد غبت مرغمة فلست ملومة
ورجعت بعد توفر الاسباب
كنا نرى الدنيا بدونك ظلمة
والنجم مختبئا وراء حجاب
والليل طال كأنه لا ينتهي
ونرى الفضاء مغلفا بضباب
واليوم عدت وعاد نورك مشرقا
فتحية للنور بعد غياب
من بعد ما ضاقت صدور أحبة
دخل الرضا من أوسع الابواب
فارعى بعزمك ما وضعت أساسه
ولدى بديع الكون خير ثواب
لم تسع يوما خلف جاه زائف
او تؤخذي ببريقه الخلاب
بل كنت في دنيا الصحافة قدوة
والقول فيما قلت فصل خطاب
لا نستطيع وفاء دينك فاقبلي
خير الدعاء وخالص الاعجاب

محمود زغلول

أخبار علمية وأدبية

● يصدر بعد أيام للدكتور حسين مؤنس مدير المعهد الاسلامى بمدريد كتابه الجديد عن الاندلس تحت عنوان « الفردوس الموعود ٠٠ أو رحلة الى الاندلس » سبق للمؤلف أن صدر له كتاب ضخم عن «فجر الاندلس» فى أكثر من سبعمائة صفحة وفى كتابه الجديد دراسة عن تراث العرب والمسلمين فى الاندلس ، والذى منه انتقلت حضارة الشرق الى أوربا ٠

تنشر هذا الكتاب ٠٠٠ المكتبة العربية بالقاهرة

***

● سينعقد بعد أسابيع لاول مرة بالمركز القومى للبحوث مؤتمر للاستماع الى حلقات دراسية علمية تتناول اقتصاديات القطن وتصنيعه ٠

وقد تقدمت الهيئات العلمية بعدد من البحوث ، وسوف يفتتح السيد وزير البحث العلمى هذا المؤتمر الذى سيستمر أسبوعا كاملا ٠

***

● توفى عن خمسة وتسعين عاما فى أكرا عاصمة غانا : الدكتور وبليام ادواردى.بور ، من كبار المتخصصين العالميين فى شئون افريقيا ، وقدحصل العالم الكبير عام ١٩٥٩ على جائزة لينين للسلام ، وظل يحرر فى دائرة المعارف الامريكية عن شئون افريقيا ، ومنذ ثلاث سنوات استقر به القرار فى غانا ونال هناك الجنسية الغانية ٠

***

● أجرت وحدة الصناعات الغذائية فى المركز القومى للبحوث بالقاهرة بحثا مثيرا يأخذ دور التصنيعوالتصدير قريبا ٠ فقد تقرر تجفيف الجوافة والمانجو وتحويلها الى مسحوق داخل أقراص مع احتفاظ الفاكهة بقيمتها الغذائية وكل قرصين قيمتهما الغذائية تساوى كوب مانجو كبيرا ، يشرف على الوحدة الدكتور جمال حامد ٠

***

● تصدر قريبا فى طرابلس الغرب جريدة أسبوعية أدبية ، تهتم مع الادب العربى بالفكر الاسلامى ٠

هذه الجريدة سيطلق عليها اسم (جريدة البلاغ) وصاحبا امتيازها الاستاذان على وريث وابراهيم الغويل المحامى بليبيا ، وهما ممن تلقوا تعليمهم فى القاهرة ٠

سترعى جريدة البلاغ الليبية المواهب الناشئة الى جانب الاهتمام بأقلام رجال الفكر فى العالم العربى ٠

***

ابتكر العلماء فى ألمانيا الغربية آلة أوتوماتيكية جديدة تقرأ الخطابات وحدها ، ان ألمانيا توزع ٣٠ مليونا من الخطابات فى اليوم ، والآلة الجديدة ستحل هذه الازمة لانها تقرأ من ٣٠ الفا الى ٣٦ الف رسالة فى الساعة ٠

***

● سيرأس السيد/سيد مرعى الوزير السابق ورئيس اللجنة العليا لبحوث الفضاء ، أول مجلة علمية لبحوث الفضاء وافق السيد/صلاح هدايت وزير البحث العلمى على المشروع وستصدر المجلة قريبا ٠

***

● استندت المؤسسة المصرية العامة للتاليف ترجمة كتاب «كنت من رعايا الهون» من اللغة الالمانية الى اللغة العربية وهو من الكتب التى تقرر ترجمتها تنفيذا للمعاهدة الثقافية ٠

***

● أتمت مكتبة المثنى ببغداد طبع كتاب (عجائب الاقاليم السبعة) الى نهاية العمارة وهيئة المدن واحاطة البحار بها وتشقق أنهارها ومعرفة جبالها ٠

صنف هذا الكتاب (سهراب) المعروف (بابن سرابيون) وعنى بنشره وتصحيحه وتحقيقه (هانس فون مزك) وطبع لاول مرة عام ١٩٢٩ فى فينسيا ٠

***

قصة العدد

ياماما...

للأستاذ حشمت جبر

حى السكاكينى حى حائل كأى حى فى القاهرة مازال يعانى من حدة الصراع بين ماض يحاول ان يحتفظ بطابعه القديم وحاضر تتألق فيه أكثر من فكرة وأكثر من راى ·

فمنذ ثلاثين عاما كان معظم الحى يقطنه اجانب واقل من القليل من المصريين أما اليوم فاقل القليل من الاجانب ونماذج متباينة تماما من المصريين وفى الدور السادس وفى شارع محمد سامى وبالتحديد فى أحد شرفات المنزل المطل على ناصية الطريق كانت عليه تقف مستندة الى حافة الشرفة وعيناها تمسحان الطريق الطويل تخترقان ظلامه باحثتين بين طياته عن شىء أى شىء تشعر عيناها بالاستقرار عليه ولكن نظرتها كانت ترتد ثانية متخبطة فى الظلام عائدة اليها مصوبة داخلها وعلى الشفتين كانت ترتعش مرارة ·· مرارة تذكر لحظات الازمة وفوق الوجه المجعد كانت اهتزازات الزمن تلسع من يراها فالليلة فقط ثار الطوفان وكان فى حالة كمون وكانت تعتقد هى أنه فى سبات عميق ·

ان اليوم لم ينته بعد ومازالت ذكراه تلسع ذاكرتها وهى تتذكر شريط حياتها الذى لم تصفعها آلامه الا اليوم ومنذ لحظات قصيرة فى مجرى الزمن طويلة فى ابعاد حياتها فعندما أدركت علية لحظة الحياة تطلعت الى وجهها فى المرآة فغامت عيناها من النظر اليه وتركته ونزلت بنظراتها الى جسدها الذى التصقت به مظاهر انوثة التاسعة عشرة فآلمها أن تجده نحيلا ممصوصا ويومها تحركت مأساة دمامتها ولكن كان لا بد للمأساة من ان تكتمل خيوطها حتى لا تكون مأساة مبتورة وكان ذلك على اثر حادث لوالديها فى عربة باحدى الطرق الزراعية انهت حياتهما كانت يومها فى الجامعة فى السنة الاولى وكان عليها أن تواجه الموقف كله وحدها فلقد كانت وحيدة الا من خال يعيش هو وزوجته العاقر فى الحجرة المجاورة لها ·

ومرت أيامها كئيبة وهى تكتشف كل يوم أنها تزداد دمامة وانها لم تلفت النظر حتى لصعاليك الطريق ·

وحاولت أن تقدم أفضل ما عندها من اخلاقيات حاولت ان تكون عطوفة اجتماعية حنونة ولكن يبدو انه ليس بالاخلاقيات وحدها يحيا الانسان ·

ومضى الزمن يزحف على اعصابها وهى تترك وراءها السنين حتى تعودت على تلك الحياة الجافة التى يحكمها روتين الاستهلاك اليومى منذ أربع سنوات صباحا بعد أن تخرجت تذهب الى مدرستها ومساء تعود الى البيت مثقلة بمتاعب اليوم وفى بعض الاحايين تدخل السينما مع صديقة أو صديقتين لا تلبثان أن تبتعدا بمجرد أن تتزوجا ولا شىء فى حياتها غير ذلك ·

سوى لحظات تتوقد فيها أحاسيسها فجاة · وتشعر بالسعر وتلهب جسدها الممصوص وتتدفق فى داخلها اهادير الحياة طالبة الامتداد ·

لكنها لا تلبث أن ترتد بارزة لاسعة كوخز الابر لكن حادثة اليوم حركت اللامعقول فى حياتها ·

فعندما انتهت الحصة الرابعة كانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة ظهرا واحست فجاة بصداع جانبى يكاد يحطم راسها · فاستاذنت فى الخروج

وانسابت قدماها فى الشارع الكبير واستقرتا على محطة الاتوبيس وفجاة وقعت عيناها على طفل صغير لا يجاوز ثلاث سنوات يقف بجوار سور احدى المدارس يبكى فى صمت وأحيانا يخنقه صمته سيشهق بالبكاء ·

واخذها الحنين لمنظره واقتربت من الطفل وحاولت ان تساله عن بكائه ولكن لم يجب واشتد بكاؤه أكثر فحملته بين ذراعيها واشترت له قطعة من الشيكولاته وهى تحاول أن تنتزع منه أى كلمة ولكنها اكتشفت أن الطفل يردد وبصعوبة ··· أروح ··· أروح بابا بابا ودهشت واستغربت

فالطفـــل لا يذكر أمه ولا يعرف الطريق وبرق فى ذهنها انه تائه ولا يعرف من أين أتى ولا اين يذهب .

ورقت له أحاسيسها وحاولت ان تعرف اسمه أو اسم عائلة أبيه ولكنها فشلت الا فى الحصول على اسمه فقط ولاشىء سواه وضمته الى صدرها تهدهده واحست بضغط رأسه على ثدييها . فاجفلت وفجأة نادت احدى عربات الاجرة ودلفت بالطفل فى داخلها وفى المنزل لم تجد احدا فلقد سافر خالها وزوجته منذ يومين وتركاها وحدها .

واخذت فى مداعبة الطفل واحست براحة غريبة حينما استطاعت ان تجعل الطفل يكف عن البكاء .

ولاول مرة تشعر أنها وحدها فى بيت ومعهـــا طفل وأن لا شىء يرتبط بالطفل سواها اثنان يقفان فى ركن من اركان العالم وكل منهمـــا تائه .. واحست أنهـــا تقبله بشغف غريب ولم تشعر الا بدموعها تلسع ثدييها وقد استكان عليهما الطفـــل وعدا بل ونام من كثرة التعب والبكاء .

ولكنها استيقظت فجأة من حلمهـــا الجميل فهى حائرة ماذا تفعل به ماذا يا ترى فعـــل أهله حينما اكتشفوا غيابه .. ان شيئا ما يشدها اليه وافكار مشدودة تستيقظ فى داخلهـــا ولكنها كم تود أن تحتفظ به ولكن كيف ستواجه الناس .. ماذا تقول له عندما يكبر ماذا تقول لنفسها عندما تواجهها فى لحظة تعقـــل .. وفتح الطفل عينيه وهى تحتضنه وتقبله وقررت أن تسلمه للشرطة وفجأة . برق فى خاطرها احساس غريب .

فهى لم تسمع ابدا كلمة ماما وكم تاقت نفسها أن تسمعها مرة موجهة لها ولتنتهى بعد ذلك الحياة .. ونظرت اليه بحنو المرأة .

وقالت له فى صوت ممزوج بالقلق واللهفة قل ماما ولم يرد الطفل لانه يبدو أنه لم يتعود على نطق هذا اللفظ .. وذهبت واحضرت له قطعة شيكولاته وقبلتــــه ثم قالت له قل ياحبيبى قل ماما قل ماما قل ماما وظلت تلاطفه وتداعبه وتموء حوله كقطة تلحس رضيعها حتى قال الطفل ما ما .

واحست بالعرق البـــارد يتفصد على جبينهـــا وانهارت دموعها غزيرة ، غزيرة كأنها تتفجر من الف عين واستنغم الطفل النغم فظل يردد ضاحكا ماما ماما وعنـــدما عادت من القسم ووقفت فى الشرفة كانت المرئيات تتهر أمامها دموعها تغسل معنى رهيبا كانت تشعر انه لصق باعماقها وعيناها تمسحان الطريق الطـــويل تخترقان ظلامه باحثتين عن شىء أى شىء تستقران عليه .

حشمت جبر

طرائف

الاول ـ الى أين أنت ذاهب بهذه السكين وهـــذا المقص ؟

الثانى ـ ذلك لانى أريد أن اقطع اجازتى وأقص أسباب هذا القطع .

***

المحسّن ـ لقد أعطيتك قرشا الآن حين رأيتك فى حى عابدين .

الشحاذ ـ حقا ولكن لى فرعا آخـــر هنا فى حى السيدة زينب .

***

القاضى ـ قف معتدلا وأخرج يدك من جيبك .

النشال ـ عجبا ! انكم تحاكموننى على وضع يدى فى جيوب الناس .

***

القاضى ـ هل سرقت ساعته حين كان بجوارك

اللص ـ كلا بل كنت أريد معرفة الوقت وكان ينام فعز على ايقاظه .

***

القاضى ـ هل بقى لديك شىء تدافع به عن نفسك؟

القاتل ـ وبم أدافع عن نفسى وقد أخذوا مسدسى فى البوليس ؟



الدار القومية للطباعة والنشر